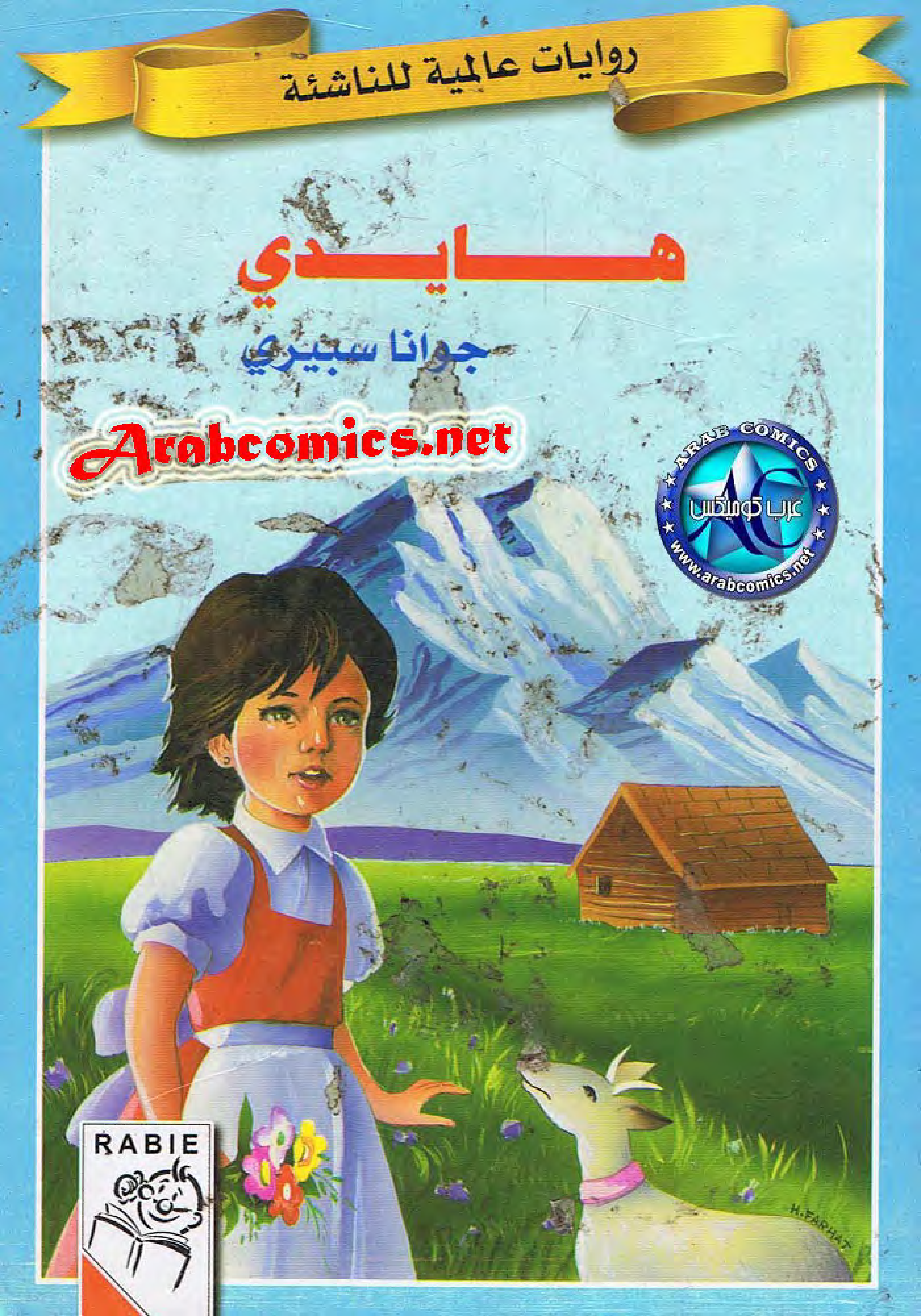


روايات عالمية للناشئة
هايدي
جوانا سبيري
Arabcomics.net
ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net
RABIE
H.FARHAT

هايدي

(جوانا سبيري)

1827 -1901

ترجمة

د. محمد نديم خشفة

ذكرى حاج حسين

إشـــراف : محمــــد كمــــال

إخراج فني : م. نشوان خريط



هايدي

الفصل الأول

الألب



توجد في جبال سويسرا قرية صغيرة تدعى ماينفيلد ، تشرف عليها القمم المغطاة بالمروج الكثيفة التي تسمى الألب أو الألباج ، ومنها سمّي الجبل (الألب) .

في أحضان هذه القمم تنتشر رائحة العشب الذكية التي وهبت عطرها لحليب الأبقار السويسرية ، ويتعرج من الريف إلى جبال الألب طريق ضيق .

في ذلك اليوم ، وعلى الطريق المذكور ، كانت فلاحة شابة قوية البنية ، تمضي مسرعة وقد أمسكت بيد فتاة صغيرة في الخامسة من العمر ، متوردة الخدين كما يتورد التفاح ، ويصعب أن نقول

إن هذه الفتاة سمينة أو نحيفة ، لأنها على الرغم من شمس حزيران ترتدي عدداً من الفساتين الواحد فوق الآخر ، وشالاً أحمر معقوداً حول خصرها ، وتمشي بهمة رغم حذائها الثقيل ذي المسامير الكبيرة .

كانتا تمشيان منذ ساعة تقريباً ، حينما وصلتا قرب ضيعة تقع في منتصف الطريق إلى (الألباج) تدعى (درفلي) .

ها هنا ولدت الفلاحة الشابة ، وسرعان ما تعرفوا عليها ، فكانت الأبواب والنوافذ تفتح لدى مرورها ، وكانت ترد تحيات الجميع ولكنها لا تتوقف وتتابع سيرها للخروج من الضيعة . ومن آخر بيت ناداها صوت قائلاً : ديت ! ديت ! إذا كنتِ صاعدة إلى فوق فانتظريني ، سنترافق في بعض الطريق .

وقفت ديت وتركت يد الطفلة التي سارعت إلى الجلوس فوق حجر ، وسألتها المرأة : هل أنتِ متعبة يا هايدي ؟

فأجابت الفتاة : لست متعبة ، ولكن الجو حار .

– قليلاً من الجهد والسرعة ، ثم نصل إلى هناك .

وخرجت امرأة سمينة من البيت وانضمت إليهما ، وتبادلت المرأتان العناق ، وبدأتا تثرثران حول أخبار الضيعة وأهلها .

نهضت الفتاة وتبعتهما ، وسألت المرأة السمينة فجأة بصوت فرح :

– وأين تذهبين مع هذه الفتاة ؟ أليست اليتيمة التي تركتها أختك ؟

قالت ديت : تماماً إنها هايدي ابنة أختي .

– وأين تذهبين بها ؟

– سآخذها إلى العم ، سيهتم بها .

– إلى العم ؟ هل فقدتِ عقلك ! وهل تظنين أن العم سيرحب بها ؟ سيطردكما معاً .

– أليس العم جدها ؟ وهو ملزم بأن يفعل شيئاً من أجلها يا باربل ! لقد رعيتها حتى الآن ، ولكنه عَرض عليَّ منصب عمل ممتاز في فرانكفورت ، وعلى العم أن يهتم بها الآن .

قالت باربل : بالتأكيد لو أن العم مثل عباد الله لفعل مثلهم ، ولكنه لا يشبه أحداً ، وأنتِ تعلمين هذا جيداً ، وماذا يستطيع أن يقدمه لفتاة ؟ وبهذه السن أيضاً ؟ وأنت ستذهبين إلى فرانكفورت ؟

– سأرحل إلى فرانكفورت حيث وجدت عملاً رائعاً لدى أناس جاؤوا للعلاج هنا السنة الماضية ، كنت أشتغل في الفندق

الذي استأجروا فيه وكنت مسؤولة عن غرفهم ، وألحّوا عليّ بالذهاب فوراً ، ولكني لم أستطع ترك الفندق لالتزامي مع أصحابه ، وعاد النُزلاء هذه السنة وجددوا عرضهم عليّ ، فقبلت لأنني لا أريد أن أضيّع مثل هذه الفرصة .

– مهما يكن الأمر ، فأنا قلقة على الطفلة ، فنحن لا نعرف كيف يعيش هذا الشيخ المجنون هناك في كوخه ، ولا يكاد يهبط إلى القرية مرتين في السنة ، وحين يهبط إليها يخيف الأطفال بحاجبيه الكثيفين ولحيته الطويلة وعصاه الضخمة .

– لا يهمني ، إنه جدّ هايدي وكفى ، وهو مسؤول عنها ، وإذا لم ينفعها فلن يؤذيها .

قالت باربل بفضول :

– وبالمناسبة .. إني أتساءل عما يثقل ضمير (عم الألب) كما يدعونه ، حتى يعيش وحيداً في أعالي الجبال وكأنه خائف من شيء ، ما حكايته ؟

– له حكاية طبعاً .. ولكن أخاف من أن يدري أنني ..

والحق أن باربل كانت تموت من الشوق إلى معرفة المزيد ، لماذا يعيش هذا الشيخ ذو المظهر المخيف في الأعالي صيفاً وشتاء ،

ولماذا يدعونه (عم الألب) ؟ لا يمكن أن يكون عم القرية كلها .

وباربل هذه قد تزوجت منذ زمن قريب رجلاً من قرية (درفلي) ابن عم ديت ، لذلك فهي تجهل أشياء كثيرة .

ولكنها تعرف معرفة وثيقة ديت التي لم تغادر القرية سوى مرة أو مرتين حينما توفيت والدتها ، ثم استقرت في (راغاز) لتعمل مدبرة في فندق سياحي ، ومن (راغاز) جاءت هذا الصباح مع ابنة أختها ، وقد حملها أحد الفلاحين معه في عربة تنقل التبن .

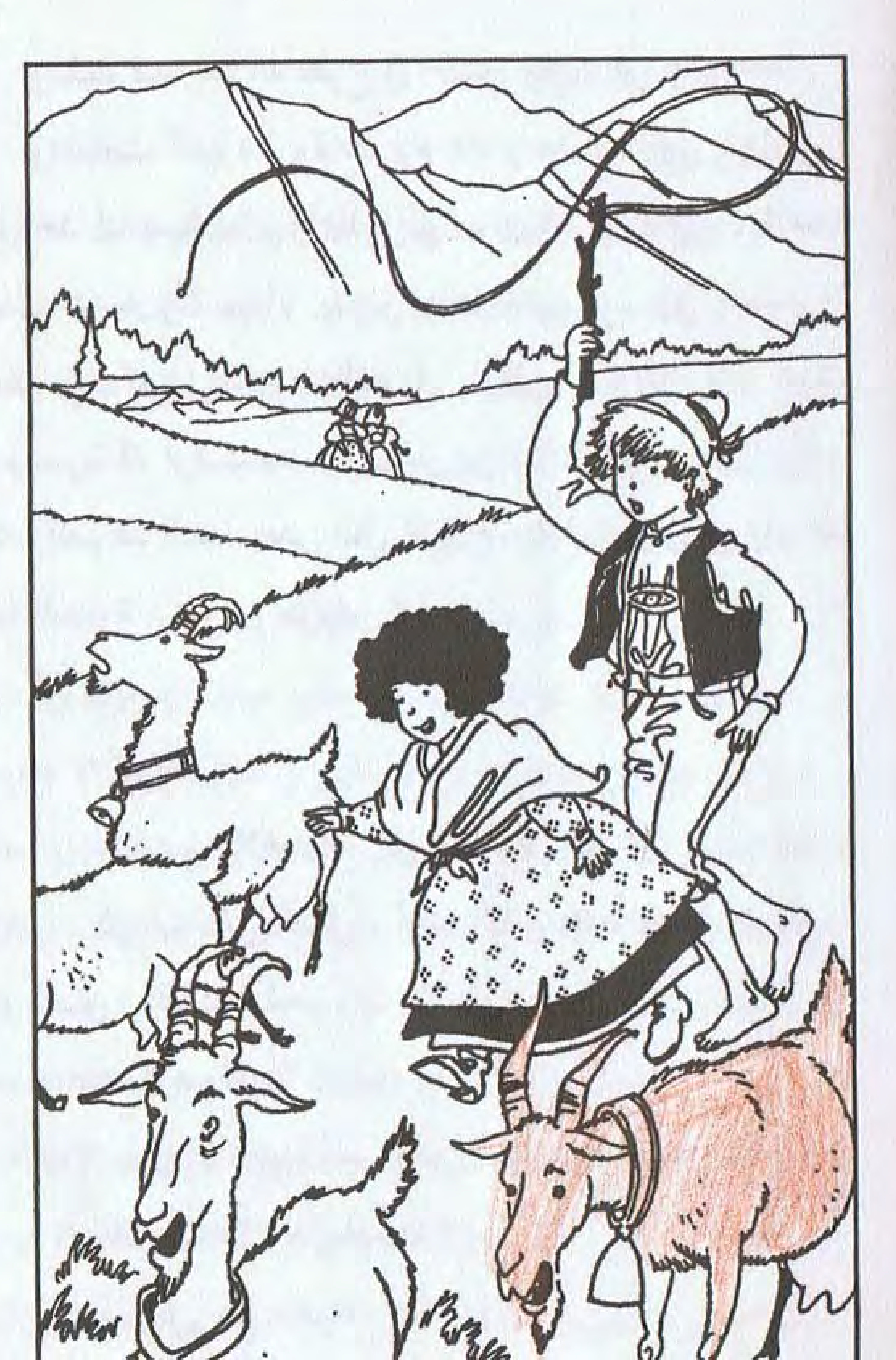
لم تيأس باربل من عناد ديت فقالت بصوت خفيض : هيا يا بنت العم ! هل كان العم هكذا دائماً مكروهاً يتجنبه الناس .

– لا أعرف كيف كان ، فهو في السبعين وأنا في العشرين من العمر ، ولكنه من قرية أمي . وأخشى أن تقولي لأحد إن أخبرتك ..

قالت باربل : ومن تظنينني .. ألا يمكنني كتمان السر ؟ وخاصة سر العائلة !

قالت ديت : طيب .. ولكن أستحلفك باسم العائلة ألا تنشري ما أقوله لك .

ونظرت حولها لتتأكد من أن هايدي لا تسمعها ، ولكنها لم



تجدها ، فقد سبقتهما الطفلة منذ لحظة دون أن تلاحظ المرأتان غيابها ، وتساءلت ديت : أين ذهبت هايدي ؟

فطمأنتها باربل إلى أنها تلعب بعيداً ، وقالت : إنها مع بيتر وعنْزاته ، ولكنه تأخر هذا اليوم .. المهم أنه سيراقب الطفلة ونحن نتمشى .

قالت ديت : لا تحتاج إلى من يراقبها ، فعلى الرغم من صغر سنها إلا أنها تعرف ما يفيدها وما يضرها .

– سيكون هذا مفيداً لها مع العم ، فليس لديه سوى هذا الكوخ وهاتين العنْزتين ، هل كان غنياً من قبل ؟

– أعتقد ذلك ، وهل تعلمين أنه كان يملك أجمل المزارع في (دوملشغ) ، وكان له أخ يصغره لا يخالط أحداً ، وأما هو ، الابن الأكبر ، فقد عاش عيشة (السادة) وبدأ يخالط أناساً لا أحد يعرف أصلهم ، ويبذر أمواله حتى فقد كل ما يملكه في سنوات ، ومات أبوه وأمه حزناً وكمداً ، لقد خرب بيت الجميع حتى غادر أخوه المنطقة ولم نعد نسمع به ، وكذلك فعل العم نفسه ، فلم يعد يملك شيئاً سوى سمعته السيئة .

وعلمنا فيما بعد أنه تطوع في الجيش خلال اثني عشر عاماً .

وانقطعت أخباره ، وذات يوم عاد ومعه ابنه الغني ، ولكن لم يشأ أحد أن يستقبله ، وأغلقوا أبواب بيوتهم في وجهه ، فأصابه غضب شديد وأقسم ألا يدوس (دوملشغ) ، وبرّ بقسمه إذ استقر في كوخ قديم متهالك في درفلي ، ويقال إن امرأته السويسرية قد توفيت بعد زمن قليل من ولادة ابنها (طوبياس) ، وكان العم قد اقتصد بعض المال أثناء خدمته في الجيش ، وعلم ابنه مهنة النجارة .. تعرفين طوبياس ؟

قالت باربل :

– لا أعرفه .

– إنه شديد الاختلاف عن والده ، وهو فتى طيب لطيف المعشر ، دؤوب على العمل ، أحبه الناس جميعاً هنا في درفلي ، وهو الصورة المعاكسة للعم ، إذ يقال ..

وخفضت صوتها :

– إذ يقال إن العم لم يُسَرَّح من الجيش بعد انتهاء خدمته ، بل هرب لأنه قتل ضابطاً ، هل فهمت ؟

قالت باربل وهي مشوقة :

– كيف ؟ .. كيف ؟

قالت ديت :

– كيف نتأكد ؟ هذا ما يقال عنه ، ولكننا لم نتأكد مما قيل ، وقد رحبنا به حين جاء هنا لأننا أقارب ، فقد كانت جدته أخت جدتي ، ولذلك ندعوه العم ، وبما أن القرية كلها من عائلة واحدة تقريباً بدأ الناس ينادونه (العم) وهذا ما حدث .

قالت باربل وهي تهز رأسها :

– فهمت .. ولكن ماذا جرى لطوبياس ؟

– هذه قصة محزنة فبعد أن تعلم مهنة النجارة في مدينة (ميتز) رجع إلى درفلي وتزوج أختي (أدلايد) وكانا سعيدين معاً ، ولكن حدث لسوء الحظ أن كان طوبياس يعمل في إحدى الورشات فسقط عليه عمود فقتله ، وبلغ من حزن أدلايد أن ماتت كمداً بعد أسابيع من وفاة زوجها .

وذاع نبأ هذه الكارثة في المنطقة كلها ، وشَمِتَ به بعض الناس ، وزعموا أن العم نال جزاءه العادل ، ولكنه الآن أصبح أكثر عناداً من قبل ، فلم يعد يكلم أحداً ولا يكلمه أحد .

وذات يوم مضى إلى ذلك الكوخ المتداعي ولم ينـــزل إلى القرية

بعدها .

قالت باربل :

– فهمت .. فهمت .

وتابعت ديت :

– بعد وفاة أختي أخذنا الطفلة لنربيها أنا وأمي ، ولم يكن عمرها حينئذ سوى عام واحد ، وفي السنة الماضية توفيت أمي ، وذهبت إلى (راغاز) ، فوضعت هايدي لدى إحدى العجائز المربيات ، والآن سأسافر إلى فرانكفورت كما قلت لك ولا أستطيع رعايتها .

وقالت باربل بلهجة عاتبة :

– ولم تجدي أفضل من تركها لدى العم ؟ هل أنت مجنونة ؟

– لا أستطيع أن أمضي بها إلى فرانكفورت وهي طفلة عمرها خمس سنوات ، ليس لدي وقت للعناية بها ، ثم إنني أديت واجبي تجاهها .

أين تمضين يا باربل ؟ ما نزال في منتصف الطريق إلى الألب .

– سأرى أم بيتر لأنها تغزل لي بعض الصوف للشتاء ، سأراك قريباً .. حظاً سعيداً .

وقفت ديت على الطريق الضيق تلاحق بعينيها ابنة عمها التي دخلت كوخاً خشبياً ، وفرحت لأنه مبني في وهدة من الأرض ، فهو قديم متهالك وقد تعصف به ريح الألب الشديدة التي تمر عبر الجبال .

في هذا الكوخ يسكن بيتر الراعي ، وهو فتى لطيف يهبط كل يوم إلى درفلي فيجمع ماعز القرية ليرعاها في الألباج ، كما تسكن معه أمه بريجيت التي يلقبها الناس بالمعّازة ، وتسكن معهما جدته العمياء .

يهبط بيتر كل مساء من الألباج مع عنـــزاته ، وحين يصل إلى الساحة أمام النافورة يصفر صفيراً بأصابعه التي يضعها في فمه ، فيهرع إليه صبيان القرية من كل الأنحاء يستردون عنزات أهلهم .

وتلك هي اللحظة الوحيدة التي رأى فيها بيتر أنداده الصغار .

كان بيتر يتيماً وأبوه الراعي توفي منذ سنوات .

وقلقت ديت على ابنة أختها لأنها تأخرت ، فوقفت على مرتفع من الأرض ونظرت حولها فرأت هايدي بصحبة بيتر المعّاز .

كان الطفلان يتراكضان عبر الحقول ، لأن بيتر يعرف المنطقة جيداً ويعرف الأعشاب المفيدة التي تمنح الحليب تلك النكهة

العطرة ، وقد تبعته هايدي وهي تتعثر في فساتينها الثلاثة وشالها الأحمر والعرق يسيل منها ، وأما بيتر فقد كان يقفز من أجمة إلى أخرى كما تفعل عنزاته .

بعد قليل لم تطق هايدي حرارة الجو فجلست على الأرض وخلعت حذاءها ثم رمت شالها ثم فساتينها الثلاثة بما فيها فستان العيد الذي لبسته لئلا تحمله بيدها ، وفي لحظة واحدة بدت مرتدية تنورة قصيرة وقميصاً بلا أكمام ، وطوت ملابسها في صرة ووضعت فيها حذاءها ، ثم صارت تقفز برشاقة مثلما تفعل عنزات بيتر الذي دهش بادئ الأمر لما تفعله ، ثم عرف أن الجو حار بالنسبة إليها ، ودار بين الاثنين حوار طويل ، كانت الفتاة تسأل بيتر أثناءه كم عنزة يرعى ؟ وأين يمضي ؟ وماذا يفعل في الأعالي اليوم بطوله ؟ وما اسم هذه الجبال ؟

ولم تكد تنتهي من أسئلتها حتى وصلت إلى الكوخ الذي تنتظرها خالتها بجانبه ، وحين رأتها بملابسها هذه ظهر الغضب عليها وقالت :

– أيتها الشقية ماذا فعلت بملابسك ؟ وأين شالك وحذاؤك ؟ وتمشين حافية ؟ أين جرابات الصوف التي اشتغلتها لك ؟

فأشارت هايدي إلى صرة ملقاة بعيداً وقالت :

– إنها هناك .

كانت الملابس مرتبة وفوقها الحذاء ، وصرخت بها خالتها بصوت مخنوق :

– ما معنى هذا ؟ ولماذا خلعت ملابسك ؟

قالت هايدي :

– خلعتها لأنني أشعر بالحر الشديد .

ولم يكن يظهر عليها أنها متأثرة بغضب خالتها ، فقالت الخالة : هل أنت مجنونة ؟ هاتيها بسرعة ! سوف نتأخر نصف ساعة على الأقل ، هذا أنت يا بيتر ! أرجوك أن تأتي بالثياب فقد تأخرنا .

قال بيتر ويداه في جيبه :

– لقد تأخرت أنا أيضاً .

فقالت الخالة وهي حانقة :

– لا تكن عنيداً وسأعطيك هذا إذا جئت بها .

وجذبت من محفظتها قرشاً جديداً يلمع وأرته إياه .

وصرخ المعّاز بسرعة : " سأمضي " واختفى في المنحدر ،

وعاد فأخذ من الخالة ديت القرش وبعض المديح ثم قالت له : ما دمت تحمل الشياب فأرجو أن توصلها حتى كوخ العم وهو في طريقك .

وقبل بيتر ، فقد حصل على قرش ، وهو كنز لا يناله كل يوم .

واتجهت الخالة ديت نحو الهضبة الأخيرة المؤدية إلى كوخ العم وتبعتها هايدي وهي تهرول ، ووراءها بيتر يحمل صرة الملابس ويفرقع سوطه بيده اليمنى ليسوق العنزات إلى الاتجاه الصحيح . وإذا رأيت هايدي والعنزات صعب عليك أن تعرف من يقفز أسرع وأكثر فرحاً .

بعد ثلاثة أرباع الساعة وصلوا إلى المراعي وبدا أمامهما كوخ العم ، كان مبنياً على كتف الوادي معرضاً للرياح والعواصف كلها ولأشعة الشمس أيضاً ، ولكن المنظر الطبيعي الذي تراه أمامك يدعوك إلى تحمل العواصف والرياح ،إذ تشمخ وراء الكوخ ثلاث شجرات سامقات من الصنوبر تلطم الرياح أغصانها ، وأعلى منها أيضاً مروج الألباج التي تنبسط على طول المنحدرات العطرة ، وفي الأعالي تماماً ترى الصخرة الصماء والأخاديد الوعرة

لذرى الجبال .

كان العم جالساً قرب باب الكوخ يرقب ساكناً صعود الخالة والولدين والعنزات .

وصلت هايدي الأولى ، فاندفعت نحو الشيخ مادة يدها وهي تقول : صباح الخير يا جدي !

فمد الشيخ يده وهو يقول : ما معنى هذا كله ؟ ما معنى صباح الخير يا جدي ؟

ورمى الفتاة بنظرة فاحصة من تحت حاجبيه الكثيفين ، ولكن الفتاة ثبتت نظراتها دون تردد .

ووقف بيتر مع عنزاته يرقب الأحداث ، ووصلت الخالة ديت اخيراً .

قالت بصوت حازم :

– صباح الخير يا عم ، جئتك ببنت طوبياس وأدلايد ، لن تعرفها حتماً لأن آخر مرة رأيتها فيها كان عمرها سنة ، وعمرها الآن خمسة أعوام .

فهتف العم بالمعّاز :

– أنت متأخر هذا اليوم ، فخذ معزاتي معك وأسرع إلى

المراعي .

وتابع كلامه متوجهاً إلى الخالة ديت على حين أطاع الصبي أمره :

– ولماذا جئت بهذه الصبية إليّ ؟ !

فقالت ديت وقد ثبتت أمام نظراته :

– لأنه جاء دورك لكي ترعاها ، فقد أديت واجبي لمدة أربع سنوات .

قال العم :

– حقاً ؟ وحين تسأم معي وتبدأ بالبكاء فماذا أفعل ؟

– افعل ما يجب عليك أن تفعله يا عم ! وهل تظن أن أحداً ساعدني حين رموها إليّ ؟ كنت أعتني بأمي أيضاً ، سأرحل إلى فرانكفورت وتكون البنت تحت مسؤوليتك .. وأنت أقرب أقربائها وإذا أصابها مكروه تحملتَ تبعاته ، ولَكَمْ تحملتَ سابقاً من تبعات !

اندفعت ديت في التعبير عن نفسها ، ولكنها ندمت على الجملة الأخيرة التي قالتها في غمرة حماستها ، وأحست أنها تجاوزت حدودها ، فعضت على شفتها وتراجعت خطوة .. ولكن بعد فوات الأوان ، فنهض العم وعيناه تقدحان بالشرر من تحت

حاجبيه ، ومد يده وهو يصرخ :

– حسناً .. عودي من حيث جئت ولا ترجعي أبداً .

– وداعاً يا عم .. وداعاً يا هايدي .

قالت ذلك وهي مسرورة لهذه النتيجة .

ولم تتلكأ لحظة واحدة في هبوط المنحدر ، ولم تتوقف عن الجري حتى وصلت درفلي .

دهش أهل القرية لرؤيتها وحيدة ، وسألوها عن هايدي التي يعرف الجميع حكايتها ، فأجابت :

– إنها هناك لقد بقيت مع العم في الألب .

وكم ساءها أن سمعت الناس يتداولون فيما بينهم ويقولون : " إنها مجنونة ! يا للفتاة المسكينة ! وكيف ترمي طفلة لا حول لها ولا قوة بين يدي هذا الشيخ المجنون ؟ .

لم يسرّها ما سمعت لأن ضميرها أيضاً لم يكن مرتاحاً لما فعلت ، فقد وعدت أمها وهي على فراش الموت بألا تتخلى عن هايدي ، وهدّأت نفسها بقولها إنها حينما تجمع بعض المال فسوف تفعل ما يفيد هايدي ، ولكنها لم تتصور حياة فتاة صغيرة مع هذا الشيخ الشرس .

في خاتمة المطاف كانت مسرورة لأنها لم تعد مسؤولة عن اليتيمة الصغيرة ، ولأنها تبتعد عن هؤلاء الناس الذين يتدخلون فيما لا يعنيهم ، إن مكان عملها الجديد يعجبها كثيراً .

الفصل الثاني

لدى العم



حينما اختفت ديت في المنحدر بقي العم جالساً على مقعده وهو يدخن أنفاساً طويلة من غليونه ، وكان ينظر إلى الأرض ساكتاً . بدأت هايدي بجولة في الكوخ ترقب كل ما حولها بإعجاب ، وسرعان ما اكتشفت إسطبل الخيول ، وهو سقيفة خلف البيت ، وكان الإسطبل خالياً . مشت تتفرج على الصنوبرات العتيقة ذات الجذوع الضخمة . كانت الريح تصفر وهي تتخلل الأغصان وأكواز الصنوبر ، والأشجار العتيقة تتمايل معها ولها أنين .

ظلت هايدي برهة تصغي إلى هذه الموسيقا الغريبة ثم تابعت اكتشافاتها .

دارت حول البيت ووقفت أمام الباب بجانب المقعد حيث ما

يزال العم يدخن غليونه ولم يتحرك . وقفت أمامه تراقبه ويداها معقودتان وراء ظهرها .

بعد لحظة جذب الشيخ الغليون من فمه وجعل يتأمل الفتاة الصغيرة ، فسألها بغتة : والآن .. ماذا ستفعلين ؟

– أريد أن أرى داخل الكوخ يا جدي .

– هذا سهل .

ثم نهض وتوجه نحو الباب :

– أدخلي ملابسك ، لا تتركيها هناك !

فقالت بصوت حازم : لا أحتاجها بعد الآن .

نظر الجد إليها مبتسماً وهمهم : " هذه فتاة ذكية " .

كانت عيناها السوداوان تشعان بالذكاء ، فحدق فيهما وقال :

– ولم لا تحتاجينها بعد الآن ؟

– لأني أفضّل الانطلاق كالعنزات فلا يحتجن إلى ثياب ، وهن أكثر سرعة .

– افعلي كالعنزات إذا شئت ، ولكن رتبي ثيابك في الخزانة .

حملت هايدي صرة ثيابها وتبعت الجد إلى الداخل .

كانت الحجرة واسعة ، فيها من الأثاث طاولة كبيرة وكرسي وسرير الجد في الزاوية ، وأما الواجهة المقابلة للباب ففيها مدفأة وقد عُلّق المحراك بجانبها .

في الجهة المقابلة باب كبير فتحه الجد فإذا هو باب خزانة تحوي كل ما يحتاجونه في الكوخ من ثياب معلقة وقمصان مطوية على رفّها وأحذية ومناديل ، وعلى رف آخر قطعة خبز مدوّرة وقرص كبير من الجبن وبعض اللحم المجفف ، أما الرف الثالث فكان مملوءاً بالصحون والكؤوس ولوازم المائدة .

ما إن فتح الجد هذه الخزانة حتى سارعت هايدي إلى دس ثيابها بحيث يصعب العثور عليها ، ثم تأملت ما حولها وقالت :

– وأين سأنام أنا يا جدي ؟

فأشار بحركة من يده وقال : أينما شئت .

أدخل هذا الجواب السعادة إلى نفسها ، نظرت حولها ثم صوبت بصرها نحو سلم في الزاوية يؤدي إلى الطابق الأعلى ، فارتقته إلى سقيفة التبن التي يخزن فيها الجد علف الدواب .

وصفقت فرحاً إذ رأت كومة من التبن الذي يعبق برائحة طيبة ، وبجانبها نافذة مدورة تطل على منظر الوادي البديع .

قالت :

– سأنام هنا يا جدي ، تعال تأمل هذا المنظر الجميل !

– أعرفه .

– سأجعل منه فراشاً لي .. ناولني الأغطية !

– حسناً .. حسناً ، أنا قادم .

بحث الشيخ في الخزانة حتى وجد قطعة كتان كبيرة أعطاها لها .

هيأت هايدي لنفسها فراشاً مريحاً أمام النافذة ، ولكنها قالت بصوت قلق : لقد نسينا شيئاً هاماً .

– وما هو ؟

– اللحاف .. فلا بد من شرشف ولحاف .

– وإذا لم يكن عندي لحاف ؟

– سأغطي نفسي بالتبن .

– لا .. انتظري .

صعد الجد السلم وبيده كيس كبير بسطه فوق الفراش .

قالت هايدي : رائع ! لم يكن لي في حياتي مثل هذا السرير الرائع ، ولكن للأسف .. لم يحن وقت النوم بعد .

– سنذهب للنوم بعد قليل ، ألست جائعة ؟

كانت هايدي مشغولة بترتيب فراشها حتى نسيت أنها تكاد تموت جوعاً ، فقد نهضت باكراً وتناولت قطعة خبز مع كوب حليب قبل أن تسافر ، ومشت عدة ساعات وهي ترتدي هذه الفساتين بعضها فوق بعض ، لقد آن لها أن تأكل شيئاً ، فهتفت : فكرة جيدة .

– إذن انزلي إلى هنا .

وضع الجد على الموقد قدراً صغيرة وأشعل النار تحتها ، وما لبث أن غلى الماء فيها ، فأخذ قطعة من الجبن وذوبها ، فعبقت في الغرفة رائحة شهية .

تأملت هايدي جدها بانتباه شديد ، ثم جعلت تجري في أنحاء الغرفة كالنملة ، وحينما دنا الجد من الطاولة وهو يحمل الجبن المذوب بيد وقدراً من الفخار بيد ثانية وجد المائدة جاهزة ، فقد وضعت هايدي عليها الملاعق والشوكات ورغيف الخبز .

قال الجد وهو يضع ما بيديه على الطاولة :

– أعجبني أنك وضعت الصحون دون أن أقول لك .

وحين رأت قدر الحليب الذي وضعه جدها على الطاولة

عرفت أنه ينقص شيء ، فذهبت إلى الخزانة فلم تجد سوى فنجان واحد فجلبته ومعه كأس .

قال الجد : حسناً أرى أنك تحسنين التدبير .

وجلس على الكرسي وجلست هايدي على المقعد . قال الجد : أراك صغيرة لا تصلين إلى مستوى الطاولة .. سأتدبر الأمر .

وقرّب كرسيه أمامها فكان شبيهاً بالطاولة الخاصة بها . ووقف الجد متكئاً إلى الطاولة أثناء تناوله العشاء .

ملأ لها فنجان حليب وناولها قطعة خبز مغطاة بالجبن المذوب وسألها : كيف وجدت الحليب .

فقالت بصدق : لم أذق أطيب منه طوال حياتي .

– هل أصب لك فنجاناً آخر ؟

– طبعاً وبكل سرور .

بعد الطعام مضيا إلى الإسطبل الذي تفوح منه رائحة العلف والماعز ، فكنس الجد الأرض ووزع التبن على المعالف ، ورتب بعض الفوضى على حين كانت هايدي ترقبه باستمتاع ، ثم تبعته إلى مخزن صغير تكدس فيه الحطب .

بحث الجد عن قطعة خشب مربعة الشكل ، فثبتها من ثلاثة

مواضع ، ثم ثبت فيها ثلاث أرجل فكانت مقعداً ملائماً لهايدي كي تجلس عليه أمام المائدة . وكم كانت دهشتها عظيمة وهي ترى الجد يقوم بكل هذا لأجلها : هل يدهشك هذا ؟

– نعم .: أهذا المقعد لي ؟ كيف استطعت أن تصنعه بهذه السرعة ؟

فابتسم وجه الجد المتجهم لأول مرة منذ زمن بعيد ..

ثم تجول الاثنان في أنحاء الكوخ ، وكان الجد يحمل مطرقة وعدداً من المسامير ، يثبت واحداً هنا وواحداً هناك ، يصلح ما أفسده المطر والريح .

وقال يشرح لها : يجب أن أقوم بهذا على الدوام فالريح شديدة هنا .

ومع طلوع النهار تزداد الرياح قوة ، وتترنح الصنوبرات القديمة وتئن أنيناً ، وتكاد الريح تحمل الكوخ معها .. وشعرت هايدي أن هذه الأصوات كلها موسيقا رائعة تود لو رقصت على ألحانها . ونظر إليها الجد وهي تقفز هنا وهناك وقد سيطرت عليه أفكاره .



فجأة سمعا صوت ثغاء الماعز فقد عاد بيتر مع عنْزاته ، وكانت تقفز في الجبل متوزعة بكافة الأنحاء ، فأطلقت هايدي صرخة فرح .

قرب الكوخ أصبح القطيع أكثر هدوءاً وانفصلت عنْزتان عن صاحبالها وهرولتا نحو العم ، وهما تعلمان أنه سوف يستقبلهما بقطعة ملح تلعقانها ، كانتا عنْزتين قويتين بقرنين طويلين ، عيونهما صفراء وديعة .

وقفزت هايدي فرحة فكانت تُمسّدهما الواحدة تلو الأخرى ، ولكنهما تهزان آذانهما حين تمسك بها ، وهتفت وهي تكاد تطير من الفرحة : أهما لنا يا جدي ؟ وهل تبقيان معنا دائماً ؟ وهما اللتان تنامان في الإسطبل ؟

وكان الجد يجيب على أسئلتها بقوله : " نعم " .

بعد انتهاء العنْزتين من لعق الملح من كف الجد قال لهايدي :

– هاتي فنجاناً وقطعة خبز .

جرت هايدي وعادت بهما ، وكان الجد قد بدأ يحلب العنْزة البيضاء فوق سطل حديدي ، ثم ملأ الفنجان بالحليب الساخن ذي الرغوة ، وقسم قطعة خبز وأعطاهما لهايدي . فكانت تغمس الخبز

في الحليب باستمتاع .

وأخيراً قال لها الجد :

– حان وقت النوم ، وقد تركت لك خالتك صرة فيها حوائجك ، وأظن أن منها قميصاً وما شابه ذلك . وتجدينها تحت ، قرب الخزانة فافتحيها وخذي ما تحتاجين منها ، سأسوق العنزتين إلى الإسطبل .. تصبحين على خير !

– تصبح على خير يا جدي ، تصبح على خير ، ولكن قل لي ما اسم العنزتين ؟

– البيضاء اسمها (ليلي) والسمراء اسمها (بيكيت) .

ثم مضى إلى الإسطبل .

أنهت هايدي فنجان الحليب وكان عصف الرياح يزداد شيئاً فشيئاً ، فعادت إلى البيت وصعدت السلم ونامت في فراش القش وكأنها ترقد فوق سرير من ريش النعام .

ذهب الجد إلى النوم أيضاً ، لم يكن الوقت متأخراً ، ولكنه اعتاد الاستيقاظ عند الفجر والشمس تشرق مبكرة في هذه الفترة من السنة .

أثناء الليل أصبحت الريح أكثر عنفاً ، وهي ريح (الفوهن)

التي عُرفت بها جبال سويسرا . فكان المنْزل العتيق يطقطق ويئن ، والريح تزمجر بين أشجار الصنوبر .

في وقت متأخر من الليل نهض الجد وهو يتمتم : يجب أن أرى الصغيرة ، ولا أظنها ذاقت النوم مع هذه الريح ، فهي لم تتعود عليها ولعلها خائفة .

صعد السلم بخفة وهدوء واقترب من فراش هايدي ، كانت الغيوم تغطي وجه القمر وتغرق السقيفة في الظلام ، لكن سحابة مرت فأشرق شعاع القمر لينير وجه هايدي ، تلك الفتاة النائمة التي جمعت كفيها وكأنها تمسك السعادة .

وما زال الجد يراقبها وهي نائمة حتى عبرت غيمة أخرى وغطت وجه القمر وعاد الظلام .

هنالك تسلل الجد إلى فراشه وهو سعيد .

الفصل الثالث

المراعي

باكراً من صباح الغد انطلق صوت صفير ، فنهضت هايدي وهي ترف بعينيها .

كانت أشعة الشمس تدخل من النافذة المستديرة وتنير فراش القش ، وكل شيء في السقيفة يشع بالضياء .

ودهشت هايدي برهة وهي تتساءل : أين أنا ؟ ثم جاءها صوت جدها ، فتذكرت أنها لدى (عم الألب) ، واستعرضت أحداث البارحة كلها ، سيرها الطويل تحت الشمس مع الخالة ديت ، انطلاقها من بين العجوز أرسولا التي كانت ثقيلة السمع ، دائمة الإحساس بالبرد ، وتقضي أيامها في كرسي قرب الموقد وهي تصرخ ويدها على أذنها : " ماذا ؟ .. كيف ؟ .. " .

لذلك لا تستطيع العجوز أرسولا أن تعتني بهايدي إلا إذا

كانت قريبة من كرسيها ، فتوجب عليها ألا تبتعد عن هذا الكرسي مما زاد في شوقها إلى الخروج والجري في كل اتجاه ، ولعلها بسبب هذا الضيق الذي عاشته شعرت أكثر بروعة الجمال الذي حولها وبعظمة الجبال واتساع المروج ، ثم إن هناك هاتين العنْزتين .. فقفزت من فراشها وارتدت ملابسها بسرعة وهبطت السلم بلمح البصر وجرت إلى الباحة .

كان بيتر الراعي واقفاً مع قطيعه والجد يخرج بالعنْزتين من الإسطبل ، فجرت إليهما وهي تحرك يدها بالتحية : (صباح الخير .. صباح الخير ..) ، فقفزت العنْزات بضع قفزات وقد أدهشتها حركات اليد ، وسألها الجد : هل تودين مرافقتها إلى المراعي اليوم ؟

فصاحت هايدي فرحة : طبعاً .

– يجب أن تغسلي وجهك إذن وإلا سخرت منك الشمس ، انظري إليها كم هي مشرقة لامعة ، وستضحك عليك إذا لم تكوني مشرقة لامعة مثلها .. أسرعي !

وسرعان ما نظفت هايدي وجهها ويديها بقطعة صابون ، لقد كانت مغبرة بعد ليلة قضتها في السقيفة .

قال الجد لبيتر : وأنت أيها القائد العام لكتيبة الماعز اقترب مني .

فدنا المعّاز منه فقال الجد : (افتح حقيبتك) ، ثم وضع فيها قطعة خبز وقطعة جبن كبيرة ، فتوسعت عينا بيتر من الدهشة ، قال الجد ثانية : اسمع يا بني ! الصغيرة لا تحسن الشرب من ضرع العنزة فاحلب لها فنجانين كبيرين لغدائها ، واحذر خاصة أن تتجول بين الصخور أو تزلق قدمها فتسقط ، هل فهمت ؟

وحرك بيتر رأسه مؤكداً .

حينئذٍ عادت هايدي ويداها ووجهها محمرة كالتفاح لكثرة ما فركتها ، وسألت قلقة :

– هل تضحك الشمس مني وأنا على هذه الحال ؟

قال الجد مبتسماً :

– لا .. لن تضحك منك ، ولكن ستفعلين الشيء نفسه في المساء لأنك حين تقفزين مع العنْزات تصبحين موسخة مثلها ، هيا .. اذهبي الآن .. وكوني عاقلة .

واتجه القطيع بصحبة بيتر وهايدي نحو المراعي .

أثناء الليل كانت الريح قد كنست السماء ولم تترك فيها غيمة

واحدة ، وكان لونها أزرق قاتماً فوق الذرى التي لا يذوب عنها الثلج أبداً .

كانت المنحدرات مغطاة على مد النظر بآلاف الألوان من الزهور ، وهايدي تجري يميناً وشمالاً وهي تهتف من روعة جمالها ، فالبنفسج قد أطل برأسه بين الحبق والزعتر ، وصبغ شقائق النعمان شفاهه يتباهى على النرجس الأصفر والمنثور الناصع البياض ، فنسيت هايدي من سحر ما رأت بيتر والعنْزات ، وبدأت تجمع الزهور في مئزرها لكي تزين بها غرفتها حين تعود .

كان بيتر مشغولاً بعنزاته يمنعها من الشرود بفرقعات سوطه ، وهتف لهايدي بصوت منْزعج :

– لا تبتعدي فأنا لا أستطيع مراقبتك ومراقبة العنْزات معاً .

قالت هايدي :

– أنا هنا .. قطفت بعض الزهور لغرفتي .

– حذار قد تسقطين إلى أسفل ، واحذري الصخور فهي خطيرة ، وإذا جرحت نفسك فسيقطع الجد لي أذنيّ .

قالت هايدي وهي تتلفت حولها :

– وأين هي الصخور التي تتحدث عنها ؟

– وراءك .. هناك في الأعالي حيث يتردد صدى نداء الوعول . فجلست هايدي قربه ومئزرها طافح بالزهور ، فقال لها : يكفيك لهذا اليوم .. فإذا قطفتها كلها اليوم لا يبقى لك شيء للغد .

وما زالا يصعدان والعنْزات جادة في سيرها حتى وصلا إلى الموضع الذي اختاره بيتر للاستراحة ، وهو منعطف في الجبل تغطيه بعض الشجيرات وتفرش على الأرض ظلها ، ولكن الذرى فوقهم على ارتفاع مئات الأمتار كانت عارية من النبات .

وضع بيتر في حفرة غائرة زوادته لئلا ترميها الريح التي تهب قوية أحياناً ، ووضعت هايدي مئزرها بجانبها وهي تتفرج على مناظر الطبيعة ، وتمدد بيتر لينام قليلاً .

كان المشهد رائعاً ، فالوادي الممتد تحتها تغطيه سحابة رقيقة زرقاء من الضباب ، وارتفعت في مواجهة الجبال قمة بيضاء شامخة انعكست عليها أشعة خضراء ، ويساراً ترى جبلين ينتهي كل منهما بقمة مربعة وكأنهما قلعتان متقابلتان ، ويميناً تغور بشكل عمودي أودية عميقة ، كان الجد قد حذرها من السير قربها .

هبت نسمات خفيفة حركت العشب ، والعنْزات ترعى

هادئة ، وبيتر ينام تحت الشمس .

تأملت هايدي هذه المشاهد ثم بدأت تغني وترتب الأزهار وتصنع منها باقات وأكاليل .

وأحست بشعور من عاشت طول حياتها هنا ، وبعد قليل رفعت رأسها لترى طائراً ضخماً يحلق بكبرياء فصرخت : انظر بيتر .. ما هذا الطائر الضخم ؟

قال بيتر وقد استيقظ قبل قليل : إنه العقاب .

وتبعا بعيونهما ذلك الطائر الجارح وهو يبتعد بجلال وراء الصخور الرمادية المدببة . سألت هايدي : أين ذهب ؟

– إلى عشه .

– لا بد أن له عشاً جميلاً .. أتذهب لنراه ؟

– لا ، فالعنْزات لا تستطيع اللحاق بنا ، وقد منعنا جدك من أن نجازف بأنفسنا فوق الصخور .

بدأ بيتر يطلق صفيراً متنوعاً بعد أن وضع إصبعيه في فمه ، وراقبته هايدي مندهشة وهي تتساءل عن معاني هذه الألحان المختلفة ، أما العنْزات فكانت تدرك معانيها فجاءت مسرعة .

عدّها بيتر بعناية ، كانت جميعها حاضرة ، بعضها يرعى

العشب وادعاً ، وبعضها الآخر يلهو بالتناطح ، فيقف على قائمتيه الخلفيتين ويهوي بقرنيه على خصمه ، وتسلت هايدي بهذه المعركة بين الماعز ، وكانت تتفحص كلاً منها بعناية فتجد فوارق بينها ، وهذا أمر طبيعي .

خلال ذلك مضى بيتر وجلب الزوادة من الحفرة وأخرج منها الطعام وبسطه على الأرض ، القطع الصغيرة التي جاء بها ، والقطع الكبيرة التي زوده الجد بها ، وطاساً من التوتياء في الوسط ، وملأ الكأس بحليب استدرّه من ضرع العنْزة البيضاء (ليلي) .

ونادى هايدي التي كانت مشغولة عنه باكتشاف هذه الأشياء الجديدة حولها ، فرفع صوته حتى سمعته وقال لها بيتر : هيا .. حان وقت الطعام .. تعالي اجلسي .

سألت بصوت شره : هل الحليب لي ؟

– نعم هو لك .. أوه .. شربته بهذه السرعة ؟ أتريدين طاساً آخر ؟ سأحلب لك طاساً ..

حينئذٍ قسمت هايدي الخبز والجبن إلى حصتين ، وجعلت الحصة الكبرى أمام بيتر .

وتردد بيتر أمام هذه المائدة العامرة التي لم يتعود على مثلها ،

فقالت له : خذ .. هذا نصيبك .

ولما رآها جادة حيّاها بانحناءة من رأسه وعمد إلى غذائه ، فالتهمه متلذذاً كما لم يفعل معّاز مثله في كل سويسرا .

سألته هايدي : ما هو مصدر حليبنا الآن ؟

فقال مشيراً إلى عنْزة بيضاء وسوداء : العنْزة الرقشاء .

– وهل تعرف أسماءها كلها ؟

فقال باعتزاز : طبعاً .

ولم يكن شيء آخر يشغل ذاكرته طول النهار ، فسرد عليها أسماءها جميعاً ، وكان فيها العنْزة (التركية) الكبيرة ذات القرنين القويين وهي تتحرش بالجميع باحثة عن النطاح ، ولا تقف لها بالمرصاد سوى (أم قرقف) التي لا تهرب وتتصدى لها ، وهناك (الرقشاء) عنْزة أم بيتر ، وسميت كذلك لاختلاط سواد لونها ببياضه ، وحليبها ممتاز ، ثم هناك (البيضاء) الصغيرة التي أحبتها هايدي لأنها تثغو بصوت حزين ، وسألته هايدي :

– لماذا تثغو بصوت حزين ؟

– آه .. لأنها مشتاقة إلى أمها ، عاشت معها مدة قصيرة حتى باعوها منذ يومين .

– وليس لديها جدة ؟

– ليس لديها جدة .. هؤلاء عنزات أتفهمين ؟

طوقت هايدي العنزة البيضاء بيديها الصغيرتين وقالت بحزن :

– لا تحزني يا بيضاء .. سأعتني بك .. لا تكوني حزينة ، وإذا احتجت إلى شيء فتعالي إلي ..

فحكّت العنْزة الصغيرة رأسها بكتف هايدي ، فانفجرت ضاحكة وكأنما فهمت العنْزة حديثها .

أكمل بيتر طعامه على حين كانت هايدي تتفحص العنْزات وسألته : أظن أن أجمل العنزات عنزات جدي .

– طبعاً .. وهناك سبب لذلك ، لأنه الوحيد في كل درفلي الذي يوليها مثل هذه العناية ، فهو ينظفها بالفرشاة ويغسلها ويطعمها الملح ، ولديه أنظف إسطبل .

ونهض فجأة ، فقد رأى العنزة (أم قرقف) المجازفة قد اتجهت نحو المنحدر طامعة في حزمة حشيش ظنتها لذيذة الطعم ، وأمسك بقائمتيها وجذبها إليه بعد أن انزلقت على العشب ، وبحركة منها أسقطت بيتر فتمسك بشجرة ونادى هايدي لمساعدته ، ولم تكن تعرف كيف تساعده والعنْزة تتخبط محاولة الإفلات من يده لترمي

نفسها في المنحدر ، وخطرت لها فكرة حسنة ، إذ نزعت شيئاً من الحشيش واستدرجت به العنزة ، فأعادها بيتر إلى القطيع ثم أخذ سوطه ليؤدب (أم قرقف) لما اقترفت أظلافها .

هتفت هايدي : ستضربها ؟

– طبعاً .. فهي تستأهل الضرب .

– ولكنك ستوجعها .

– طبعاً سأوجعها ، وإلا ما الفائدة من ضربها ؟

قالت هايدي باندفاع : اسمع .. سأعطيك ما بقي من خبزي وجبني إذا ما وعدتني بألا تضربها .

فقال وهو يخفض سوطه : أحقاً ؟

– هذا وعد ، ولكنك لن تضرب عنْزة أبداً .

– سيصعب علي حراستها .. ولكن سأحاول .

سرعان ما مالت الشمس إلى المغيب وراء الجبال ، وجلست هايدي على العشب تنظر إلى زهورها التي صار لونها أغمق بعد المغيب ، ثم وقفت على قدميها قائلة : انظر هناك يا بيتر .. الجبال تحترق وكل الثلوج التهبت فيها النار ، وكذلك الصخور حيث يسكن العقاب .



فقال بيتر :

– هذا يحدث كل مساء .

– وما هذا ؟

– لا أدري ، شيء له علاقة بالطبيعة ، هيا .. حان وقت الرجوع .

عادا غير عَجِلين ، والعنزات تتهادى وراءهما .

وحين كانا على مرمى البصر من كوخ الجد سألها بيتر : ستأتين غداً ؟

قالت هايدي بحماسة :

– أرجو ذلك .

فقال لها :

– إلى اللقاء .

على حين كانت العنزتان (ليلي) و (بيكيت) تسرعان إلى لقاء الجد ، وجرت هايدي وراءهما .

قالت لاهثة :

– كم هو جميل هناك ! يوجد عقاب .. وجبال الثلوج .. وزهور كثيرة جنت ببعضها ، انظر ..

وحلت مئزرها فأطلقت صرخة خيبة أمل ، فزهورها التي كانت نضرة هذا الصباح قد ذبلت وجفّ رحيقها ، فقالت متعجبة :

– كيف حدث هذا ؟

فقال الجد :

– سأشرح لك ، ذلك لأن الزهور قد خلقت للعيش في الهواء الطلق بين الحشائش ، فإذا قطفتها ماتت ، ولم تخلق لتعيش داخل مئزر .

– لن أقطفها إذن ، ولكن لماذا يصرخ العقاب عالياً ؟

فقطب الجد حاجبيه وهمهم قائلاً :

– العقاب ؟ اغسلي يديك أولاً ثم أقول لك .

فأطاعت جدها وغسلت يديها ، ثم جلست فوق مقعدها العالي وراء الطاولة وأمامها كأس حليب ، وانتهزت الفرصة لتسأل جدها عن العقاب ، فقال وعيناه تلمعان :

– العقاب يصرخ عالياً لكي يسوق أهل القرية ويجمع بعضهم إلى بعض مثل الخراف ، العقاب يحتقرهم ويصرخ بهم من الأعالي ، إذا اهتم كل منكم بشؤونه وارتقيتم مثلي إلى السماء وسكنتم قمم

العلاء فقد تصبحون أفضل مما أنتم عليه الآن .

دهشت هايدي لجوابه الذي لم تفهمه ولكنها لن تنساه أبد الدهر ، وظلت صامتة لحظة ثم جازفت بسؤال :

– جدي .. لماذا ليس للجبال أسماء ؟

– لا ، طبعاً لها أسماء ، ربما كان بيتر لا يعرفها .. ولكنك إذا وصفتها لي ذكرت لك أسماءها .

سألته هايدي عن الأبراج المربعة فوق الجبال ، وعن جبال الثلج الدائمة البياض ، وسألته عن تلك النار التي تحترق في الأفق فقال :

– ليست ناراً تحترق ما رأيت ، ولكن غروب الشمس ينعكس على صفحات الجليد ، فترسل الشمس أشعتها الرائعة إلى جبال الجليد تحييها تحية المساء لئلا تنساها أثناء نومها .

حان وقت النوم فتمنّت للجد ليلة سعيدة وصعدت السلم وسرعان ما استسلمت للرقاد وهي تحلم بعنزات يقفزن في بلاد عجيبة حيث الشمس تلقي على جبال الجليد تحية المساء .

الفصل الرابع
في بيت الجدّة

لقد أفادت هايدي الحياة في الهواء الطلق أعظم فائدة ، وظهرت علائم ذلك في شخصيتها ، فهي تجري في المنحدرات ساعات وتضحك من أعماق قلبها ، ونما جسمها ولوحت الشمس والريح وجهها وذراعيها .

انقضى الصيف وتبعه الخريف ، وأصبح النهار أقصر والريح أشد وأقوى ، وحين تعصف يقول لها الجد :

– ستبقين اليوم هنا ، وإذا صعدت إلى المراعي فقد تحملك الريح مثل ريشة خفيفة وترمي بك في المنحدرات .

ولم يكن بيتر يحب تلك الأيام ، فقد حرمته من صحبة هايدي .

واشتاق إلى قطع الجبن التي تحملها معها كل يوم ، فكان عليه العودة إلى خبزه اليابس الأسود يقضمه وحيداً ، وقد اعتادت العنزات على رؤية هايدي حتى رفضت الصعود إلى المراعي إذا لم تكن الفتاة معها وتظل تثغو حول الكوخ ، فاضطر بيتر لاستخدام سوطه من جديد .

لقد كانت هايدي تعاني من البقاء بعيداً عن المروج والأزهار ، وقد بدلت الطبيعة ثوبها من الأزهار ، ولبست مكانه ثوباً أبيض ترتديه أشجار اللوز وتهز أطرافه الرياح .

وظهرت على السطح نباتات الفطر التي تنمو في ليلة واحدة ، فكان بيتر يشويها كما يشوي الكباب ، ولكن العقاب لم يتوقف عن الصراخ فوق أعالي الألب .

تنهدت هايدي وهي تتذكر كل هذه الأشياء الرائعة ، ولكن جدها أجبرها على البقاء في البيت خوفاً عليها ، فكانت تتبعه حيثما مضى ، وخاصة حينما بدأ يصنع الجبن وقد شمّر كمّيه عن ذراعين قويتين لوحتهما الشمس .

وعصر القريش في وعاء كبير حتى تماسك ثم أفرغه فوق لوح واسع من الخشب حتى يصفو من الماء ويتجمد شيئاً فشيئاً ، وكان

يجب على الجد مراقبته وتقليبه ووضعه على ألواح ، كانت هايدي تتابع هذه العملية مبهوتة فرحة .

كانت بداية الشتاء شيئاً ساحراً بالنسبة لهايدي ، إذ تقضي ساعات طويلة تنصت إلى موسيقا الريح بين أغصان الصنوبر ، هذه الموسيقا التي لم ترَ أعجب منها ، وقريباً سوف تلبس تنورتها وجواربها وحذاءها الكبير ، وحين يأتي بيتر صباحاً سينفخ في كفيه ليدفئهما .

ذات ليلة سقطت أول ندف الثلج ، وفي الصباح اختفت المراعي تحت طبقة بيضاء ، ونظرت هايدي بدهشة وأنفها ملتصق بالزجاج ، لهذه الندف الكبيرة التي لا تتوقف عن السقوط بهدوء ، ولم يعد الجد يخرج إلا ليطعم العنزتين ويهتم بهما ، وكان يصنع بمهارة عجيبة أشياء من الخشب ، والطفلة تلهو بنشارة الصنوبر الحمراء .

لم يتوقف الثلج عن السقوط وارتفع حتى مستوى النوافذ ثم تجاوزها ، كان ينبغي إشعال النور طوال النهار لكي يبصرا طريقهما ، وتساءلت هايدي عما إذا استمر سقوط الثلج ، ألن يغمر الكوخ كله ؟ وما العمل حينئذ ؟

ولكنه توقف عن السقوط أخيراً .

خرج الجد وبيده مجرفة ، فبدأ يزيل الثلوج عن الباب والنوافذ ، ويرمي الثلج وراءه مما صنع خنادق عميقة في الكتلة البيضاء المتماسكة ، ورزماً بيضاء تشبه رزم التبن تحيط بالبيت .

كانا جالسين ذلك اليوم قرب النار حينما سمعا ضجة أمام الباب وشخصاً ما ينفض حذاءه بشدة أمام العتبة لكي ينقّيه من الثلوج العالقة به ، وانفتح الباب ، إنه بيتر ، كان مغطى بالثلج المتجمد وقد تعب كثيراً حتى وصل ، ولكن لا شيء يثنيه عن عزمه لأنه لم ير هايدي منذ ثمانية أيام ، وحين دخل قال : " صباح الخير " ثم جلس ساكتاً قرب الموقد وهو يعرّض يديه وملابسه لحرارتها ، فكان الثلج يذوب عنه ، ويشكّل بقعاً من الماء أمام الموقد .

وسأله الجد :

– ماذا إذن أيها القائد العام لكتيبة الماعز ؟ كيف حالك الآن وقد أخذ الجيش كله إجازته الشتوية فأُجبِرتَ على أكل الطباشير ؟

فسألت هايدي بفضول : ولماذا يأكل الطباشير ؟

– لأنه ليس لديه عنزات يسرح بها ، فيضطر للذهاب إلى المدرسة ليتعلم القراءة والكتابة ، ولأنه يكرهها ، فهو يأكل

الطباشير من غضبه ، أليس كذلك ؟

فقال بيتر بكآبة : نعم هو كذلك .

فسألته هايدي كثيراً من الأسئلة حول المدرسة ، فكان بيتر يجيب وإن كان يظهر عليه السأم لأنه لا يحب المدرسة ، والجد يبتسم بمكر ، فهو يعلم شعور بيتر تجاه المدرسة .

فقال وهو ينهض : حسناً .. أيها الضابط ، بعد الخروج من المعركة يجب استعادة القوى ، لذلك ستبقى معنا بعض الوقت .

وتوجه نحو الخزانة ، على حين قربت هايدي كرسيها من الطاولة وبدت مزهوة بنفسها بعد أن صنع لها جدها مكتباً صغيراً خاصاً بها .

فتح بيتر عينيه دهشة وهو يتأمل شريحة اللحم الكبيرة التي وضعها الجد فوق قطعة من الخبز .

وكانت هذه أول مرة تعرض عليه شريحة بهذا الحجم ، فكانت وجبة رائعة .

ها قد حل الظلام وعلى بيتر أن يغادرهم ، شكر الجد شكراً جزيلاً ثم التفت إلى هايدي وقال :

– سأعود في أحد أيام الآحاد ، ولكن يجب أن تزورينا

يا هايدي لأن الجدة تسأل عنك دائماً .

ودهشت هايدي إذ وجدت من يسأل عنها ، وفكرت بذلك طول الليل ، وفي الصباح قالت لجدها :

– يجب أن أذهب اليوم لرؤية الجدة فهي تنتظرني ..

– الثلج كثيف اليوم ، ليكن في الغد .

وبعد أيام كررت الفتاة طلبها .

في اليوم الرابع كان الصقيع قارساً أثناء الليل ، ولم تعد نافذة السقيفة المستديرة تنفتح إلا بصعوبة ، كانت أشعة الشمس الرائعة تتلألأ على المنحدرات البيضاء ، وأغصان الصنوبر مثقلة بأثوابها الثلجية الناصعة ، أصرت هايدي على أن تذهب لرؤية الجدة التي تنتظرها منذ زمن طويل .

قال الجد وهو يأخذ معه الكيس الذي تستعمله بدل اللحاف :

– حسناً .. سنذهب اليوم .

وخرجا ، فكانت هايدي تقفز فوق الثلج ، أما الجد فمضى إلى المخزن وأخرج زحّافة ووضعها مقابل المنحدر ، ثم غطى هايدي بالكيس السميك وجلس وراءها وقدماه تلمسان الأرض .

كانت الزحافة تطوي المنحدر طياً بسرعة متعاظمة ، والجد

يوجهها ببراعة ، وهايدي تكاد تختنق بالهواء القارس ، وتطلق هتافات الفرح .

لم تنطلق في حياتها بمثل هذه السرعة ، فكانت تظن نفسها طائراً يحلق في الهواء ، ووجدت الرحلة أقصر مما تمنت .

أوقف الجد الزحافة أمام بيت بيتر المعّاز ونزلا . قال :

– ها قد وصلنا ، وحين يهبط الظلام تعودين إلى الكوخ ، وحذار فإن الطريق خطيرة .

ثم اتخذ طريق القمة وهو يجر الزحافة وراءه .

أدارت هايدي مقبض الباب ودخلت ، فوجدت نفسها في قاعة فسيحة مظلمة تختلف كثيراً عن القاعة الواسعة التي تسكنها والسقيفة فوقها ، إن هذا بيت فقير منخفض معتم .

كانت هناك حجرة أوسع منها ، حيث الجو شديد الحرارة وأم بيتر تخيط أمام طاولتها الصغيرة ، وفي الزاوية الجدة منحنية ، جالسة فوق كرسي واطئ ، وتغزل على دولاب المغزل ، فتوجهت هايدي إلى العجوز وقالت : صباح الخير يا جدة ، أنا هايدي ، منذ مدة وأنا أريد القدوم إليك .

رفعت الجدة رأسها وجذبت يد هايدي إليها وقالت : أنت

البنت التي تعيش هناك لدى العم ؟ أنت هايدي ؟ ما أشد حرارة يدك .

فشرحت لها هايدي كيف أن الجد غطاها بعناية قبل اصطحابها بالزحافة ، سألت الجدة ابنتها :

– قولي بريجيت ، هل صحيح أن العم اصطحب هذه البنت ؟

فقالت أم بيتر بصوت خفيض وهي مشغولة بخياطتها :

– مستحيل ، لا يمكنه أن يفعل ، فإما أن الطفلة مخطئة أو أنها تكذب علينا .

فهتفت هايدي : لا ، مطلقاً ، لقد دثرني ثم اصطحبني إلى هنا ، ومن يصطحبني غيره ولا أحد سوانا هناك ؟

قالت الجدة : فالحكايات المستحيلة التي يرويها بيتر صحيحة إذن ؟ وهذا عجيب ، أتذكرين يا بريجيت كيف حسبنا أن هذه الطفلة لن تبقى مع الدب الشيخ سوى ثلاثة أسابيع ؟ من تشبه هذه الطفلة ؟

قالت بريجيت وهي تتأمل هايدي : إنها تشبه أمها (أدلايد) بشعرها الأجعد ، ولكن لها عينيْ طوبياس السوداوين فهي تشبههما معاً .

خلال ذلك كانت هايدي تتأمل ما حولها : المدفأة الكبيرة والنوافذ الصغيرة وعليها ستائر من المربعات البيضاء والحمراء وحاجز من خشب الصنوبر وسرير في مخدع ، والأعمدة العتيقة التي تكاد تتداعى مع مرور الأيام .

في الخارج كانت درفة النافذة متدلية وتصطفق بانتظام ، قالت هايدي : انظري إلى هذه الدرفة كيف تضرب النافذة ، أنا متأكدة أن جدي يصلحها بسرعة البرق .

قالت الجدة : يا حبيبتي تطلبين مني أن أرى ، فكم تمنيت أن أرى ، ولكنك لا تعرفين أنني ضريرة ؟ ولكني أسمع كل شيء وليست الدرفة وحدها التي تكاد تسقط ، فكل شيء يتساقط هنا ، وحين تعصف رياح (الفوهن) أخاف أن تقتلع البيت كله ، ولا أنام الليل بطوله ، ولكن بيتر صغير ولا يقدر أن يصلح شيئاً .

قالت هايدي متلعثمة : ألا تستطيعين رؤية الدرفة يا جدة ؟ إنها أمام النافذة ! هناك انظري !

ومدت يدها باتجاه النافذة ، فقالت الجدة بحزن :

– أنا عمياء يا هايدي ..

– عمياء لا ترين الشمس ولا الثلج ؟

– لا الشمس ولا الثلج ولا أي شيء .

اندفعت الدموع غزيرة إلى عيني هايدي وانخرطت في البكاء ، وجعلت السيدة تمسّد شعرها تواسيها ، فكانت هايدي تعانقها وتبكي ، قالت الجدة أخيراً :

– كفى يا صغيرتي ، فقدت بصري ولكني ما أزال أسمع الكلام العذب الحنون تنطق به الفتاة الطيبة ، اجلسي بجانبي واحكي لي ما تفعلين هناك ، فلا أعرف من الأخبار سوى ما يحكيه بيتر لي .

قالت هايدي وهي تمسح دموعها :

– سأطلب من جدي أن يعيد إليك بصرك ، إنه قادر على كل شيء ، وسأطلب منه أن يصلح بيتك لئلا تشعري بالخوف أبداً .

وحكت لها هايدي كيف تقضي أيامها مع الجد ، وكيف يصنع لها اللعب المنحوتة من الخشب ، وأدوات المائدة والكراسي والمعالف الجديدة للعنزات .

وابتسمت الجدة وهي تصغي لحديثها ، وتقول من حين إلى آخر : أسمعت يا بريجيت ؟

وقطع حديثهما وصول بيتر الذي أذهله وجود صديقته الصغيرة في البيت ، لقد عاد من المدرسة ، قالت الجدة :

– عدت سريعاً ، كم تنقضي الساعات بسرعة ، كيف حال المدرسة ؟ هل ستتعلم القراءة قريباً ؟ أرجو أن تتعلم القراءة لتتلو لي بعض الصلوات من الكتاب المقدس ، مرّ زمان طويل لم أسمعها ، كدت أنساها .

قالت بريجيت : سأشعل النور ، لم أعد أرى خياطتي في العتمة .

قالت هايدي : لقد هبط الظلام ويجب أن أعود .

ثم صافحت يد الجدة وسلمت على الأم وبيتر وتوجهت إلى الباب ، قالت الجدة :

– رافقها يا بيتر ، إياك أن تتعثر في الطريق أو يصيبها البرد ، هل شالك معك يا هايدي ؟

– لا ، ولكني لا أحتاجه .

– خذي شالي ولفي به رأسك .

وما كاد بيتر يخطو بضع خطوات خارج البيت حتى رأى الجد واقفاً أمام الباب ، فوضع على كتف هايدي اللحاف السميك ، وقال مبتسماً : لقد وفيت بما وعدت .

ومضيا في العتمة التي اشتد ظلامها .

دخل بيتر ليعلن لهما أن الجد قد جاء بنفسه ليأخذ هايدي ، ولم تصدق الجدة ، ولكن الأم أكدت أنها رأته من النافذة .

هتفت الجدة العمياء فرحة :

– الحمد لله ، لقد أرسل إلينا هذه الطفلة لتدخل السرور على أيام شيخوختي الأخيرة .

فوضع بيتر يديه في جيبيه وقال :

– لقد قلت لكم ولم تصدقوني .

في طريق العودة حكت هايدي لجدها ما رأت وما سمعت في بيت العجوز ، ولكن صوتها كان يصل ضعيفاً من وراء اللحاف ، فقال لها الجد :

– حين نصل إلى البيت ستحكين لي كل شيء ، أما الآن فلا تتنفسي الهواء البارد وإلا أصبت بأذى .

بعد حين وصلا إلى الكوخ في أعلى الألب ، وأعلنت هايدي أثناء العشاء أن على جدها أن يأخذ مطرقة وبعض المسامير ويهبط إلى بيت الجدة ليصلح درفة النافذة ويصلح الأبواب ، وباختصار : يصلح البيت كله الذي يكاد أن ينهار .

وسأل الجد :

– ومن طلب منك أن تنقلي لي هذا الكلام ؟

قالت هايدي :

– لا أحد ، رأيت بنفسي درفة النافذة تكاد تنخلع وتكسر الزجاج ، والجدة تخشى أن ينهار البيت فوق رؤوسهم ليلاً وهم نيام ، تصور أنها عجوز عمياء ولا يوجد أحد قادر على إصلاح منْزلها ! سنذهب لمساعدتها ، أليس كذلك ؟

كانت هذه الكلمات تنطلق بحماسة جعلت الجد يحدق في عينيها ، ثم همهم قائلاً :

– حسناً .. حسناً .. سأذهب غداً لأرى ما يمكن عمله .

وفي الغد وفى الجد بما وعد ، فأخرج الزحافة وانطلقا إلى بيت الجدة المتداعي ، وحين وصلا تركها أمام الباب وقال :

– عودي قبل حلول الظلام .

ما إن دخلت هايدي حتى هتفت العجوز :

– ها قد عادت الفتاة .

وفي غمرة فرحها كادت تقلب دولاب المغزل .



جلست هايدي بجانبها وبدأت أحاديثها .

وفجأة قفزت الجدة وهي ترتعد ، فقد هزت طرقات قوية المنْزل كله وصاحت فزعة :

– يا إلهي .. البيت ينهار .

فقالت هايدي :

– لا يا جدتي ! إنه جدي يصلح درفة النافذة .

– لا أصدق أذني ، بريجيت ! بريجيت .. ! اذهبي وتأكدي ! إذا كان (عم الألب) فاطلبي منه أن يأتي ليراني حتى أشكره .



خرجت بريجيت ، فرأت الجد يثبت المسامير في الكوخ بضربات قوية من مطرقته فقالت :

– الجدة تبلغك تحياها وأنا كذلك ، وتريد أن تشكرك بنفسها لأننا لم نجد أحداً يقوم بهذا العمل .

قال الجد :

– حسناً .. حسناً .. سأرى ما يلزمكم .. والآن دعيني أشتغل .

انسحبت الأم بريجيت ولم تعارضه ، لأنها تعلم أنه لا يتراجع عن قرار اتخذه .

قضى الجد كل الظهيرة يثبت المسامير ويصلح الألواح ، ثم صعد فوق السطح وثبت بعض الأخشاب التي تدعمه ، ثم غرس فيه مسامير كبيرة .

وما كاد ينهي عمله حتى أقبل الظلام ، فخرجت هايدي مسرعة ، فلفها في لحافها وجر الزحافة حتى الكوخ كما فعل البارحة .

انقضى الشتاء ، وكانت تتردد على العجوز ، فتستقبلها بأصوات البهجة والسرور ، لقد وجدت بعد سنوات من الوحدة بالرغم من وجود بريجيت وبيتر ، وجدت شعاعاً من ضياء الفرح ، وكانت إذا سمعت مقبض الباب تديره يد هايدي صاحت : " الحمد لله ، لقد جاءت .. " .

الآن وجدت العجوز سبباً لوجودها ، فكانت تدندن طول

النهار وهي تدير مغزلها ، وحين يعود بيتر من المدرسة تهتف : " كيف ؟ هل حل الظلام بهذه السرعة ؟ "

وكثيراً ما كانت تردد قائلة : " ليحفظ الله هذه الفتاة ويوفق العم ! قولي لي يا بريجيت هل الطفلة في صحة جيدة ؟ "

فتقول لها بريجيت :

– لا تخافي عليها .. إنها قوية مثل عنزة فتية .. وخدّاها متوردان مثل تفاح الجبال ..

وأما هايدي فكانت تحس بحزن عميق حينما تفكر بأن الجدة لا تستطيع رؤية نور النهار .

كانت تزورها كل يوم ، ومن حين إلى آخر يصلح الجد ما أصاب بيتها من أضرار ، حتى أصبح البيت متيناً لا يخشى هبوب الرياح ، وصارت الجدة تنام هانئة وهي تردد :

– لا يمكن أن أنسى (عم الألب) ما حييت .

الفصل الخامس

زيارتان



انقضى على هذه الحال أكثر من سنة وكاد الشتاء الثاني ينقضي ، وهايدي سعيدة على أحسن ما يكون ، وتنتظر بفارغ الصبر ذوبان الثلوج وعودة الربيع وسماع صوت الريح المحملة برائحة العشب وهي تزأر بين أشجار الصنوبر ، فالريح الساخنة تذيب الثلج والشمس تفتح الأزهار التي لا حصر لها في الألب .

حينئذٍ تستطيع هايدي أن تصعد إلى المراعي مع بيتر وقطيعه .

لقد كبِرت هايدي واقتربت من أعوامها الثمانية ، واكتسبت مهارة يدوية علمها إياها جدها ، فهي التي تقدم العلف إلى العنزتين اللتين تثغوان لرؤيتها ، وتقضي معهما وقتاً طويلاً خاصة بعد أن جاء الجديان .

أخبر معلم المدرسة في درفلي الجد عن طريق بيتر بأنه يجب عليه إرسال هايدي إلى المدرسة ، فقال الجد بصوت خشن إنه ليس بحاجة إلى سفير ، وإذا كان لدى المعلم شيء يقوله فما عليه إلا أن يأتي إليه ، وإنه لن يرسل هايدي إلى المدرسة .

نقل بيتر هذا الكلام إلى المعلم بشيء من الحرج ، وبانتظار ما يحدث لم تذهب هايدي إلى المدرسة .

والحق أنها لم تكن تبالي ، لأن مساحات واسعة من العشب قد ذاب عنها الثلج وظهرت في كل مكان ، وسالت غدران عديدة بين منحدرات الجبال ، ونبتت فروع خضراء جديدة في أطراف أغصان الصنوبر ، وكانت هايدي سعيدة .

هذا الصباح كادت تقع من الدهشة حينما ظهر أمامها رجل طويل القامة نحيف يرتدي السواد لم تره من قبل ، والواقع أنه لا أحد يزور الكوخ ما عدا بيتر خوفاً من مزاج جدها ، قال لها الرجل الطويل :

– لا تخافي يا بنيتي ، أعطيني يدك وقولي لي أين جدك ؟

فأجابت هايدي :

– إنه في البيت يصنع ملاعق من الخشب .

ولم يكن الرجل ذو الملابس السوداء سوى القس ، قس قرية درفلي ، وهو يعرف الجد جيداً حينما كان يسكن القرية ، فدخل دون حرج إلى القاعة ، ومشى مباشرة إلى الجد المنكب على عمله وقال القس بصوت ودود :

– صباح الخير يا جار !

فرفع الجد رأسه وقد غمرت وجهه دهشة عارمة ثم قال :

– صباح الخير .. سيدي القس .. تفضل بالجلوس .

ونهض . جلس القس على مقعد ذي ثلاث أرجل ثم قال :

– لم أرك منذ زمن طويل .. وأريد أن أكلمك عن شيء هام لعلك تعرفه .

قال الجد بعد لحظة صمت :

– هايدي .. اذهبي إلى العنزات وأطعميها شيئاً من الملح ، وسآتي بعد قليل .

أطاعت هايدي وخرجت فوراً والقس يتابعها بعينيه ثم سأل :

– كم عمر هذه الطفلة ؟

– حوالي الثماني سنوات .

– وهل تعلم أنه يجب عليها أن تذهب إلى المدرسة ؟ وقد

أخبرك المعلم مرتين هذا الشتاء ، ولم تجبه ، لماذا ؟

– ليس عندي الرغبة في إرسالها إلى المدرسة .

واضطرب القس لهذا الجواب ، وفكر لحظة وهو يفرك ذقنه ثم قال :

– وماذا تعدّ لها من مستقبل ؟

– لا شيء على الإطلاق ، أتركها تعيش على راحتها مع العنْزات والطيور ، فهي على الأقل لا تستطيع إفسادها .

– ليست الطفلة عنْزة أو طائراً ، ولا تستطيع العنْزات أو الطيور أن تعلمها شيئاً ، هذا أكيد ، لكن هايدي لن تتعلم شيئاً على الإطلاق ، ويجب عليها أن تتعلم القراءة والكتابة وأنت تسيء إليها حينما تجعلها أميّة ! جئت أكلمك اليوم حتى يكون أمامك الصيف بطوله للتفكير .

فكرر الجد بصوت حازم : لن أرسلها إلى المدرسة .

قال القس : اسمع ! لقد سافرتَ في أنحاء العالم وتعلمتَ أموراً كثيرة كما أظن ، وأعتقد أنك إنسان ذكي ، فهل تحسب أنه لا يوجد وسيلة لإجبارك على إرسال هذه الطفلة إلى المدرسة ؟

فصرخ الجد ووجهه مصفر من الغضب : هل تظن أني سأرسل

فتاة عمرها ثمانية أعوام في الشتاء القارس إلى المدرسة التي تبعد ساعتين من هنا ؟ وكنت تعرف أمها أدلايد كم كانت عصبية حتى إنها تمشي في نومها كما قيل ، ولن تحتمل هايدي هذه المشقة ، وإذا اضطررت فسوف أظهر هذه الحجة وسيكون الحق معي .

قال القس بهدوء : أرى أنك تحب هذه الطفلة وهذا أمر جيد لم أكن متأكداً منه ، ولكن افعل شيئاً آخر ، اهبط إلى القرية واختلط بالناس بدلاً من أن تعيش هنا كالدب ، تقول إن هذه الفتاة حساسة وهذا سبب آخر يدعوك إلى أن تهيئ لها حياة هانئة ، وأتساءل كيف لم تموتا من البرد هذا الشتاء !

قال الجد : الفتاة شديدة الحيوية ، وعندنا أغطية سميكة ، إن العيش في وسط الطبيعة يجعلها صلبة لا البقاء في حجرة مغلقة ، ولدينا حطب نشعله ، وأما الناس الذين هم في الأسفل فإنهم يكرهونني وأنا أكيل لهم بمكيالهم ، وكل منا يعيش من ناحية ، هذا أفضل لنا جميعاً .

قال القس : يا جاري .. يا جاري ! أنت مخطئ فالناس لا يكرهونك ستعيش سعيداً بيننا ، حاول وسترى .

ونهض مادّاً يده إلى الجد الذي هز رأسه بكآبة ، قال القس :

أتركك الآن ، إني أعرفك جيداً أكثر من أي شخص سواي ، سنعود صديقين وفيين كما في السابق .

صافح الجد يد القس الممدودة وقال بصوت حازم وهو يحدق في عينيه : أشكر لك حسن ظنك بي ، ولكن لا تتوقع أن أبدل رأيي ، فلن أرسل هذه الفتاة إلى المدرسة ولن أهبط إلى القرية .

ظل الجد بعد الظهر ساكتاً يعمل دون أن يرفع رأسه ، وحين سألته هايدي إن كانت تستطيع رؤية الجدة قال لها : " ليس اليوم " ، وكان جواب سؤالها عن الغد : " سنرى " .

ولم تدرِ هايدي ماذا تقول .

في ذلك اليوم كانت صحون طعام الغداء على الطاولة حين حدثت زيارة أخرى ، فقد طرقت الخالة (ديت) على الباب وهي ترتدي فستاناً رائعاً تسحب أذياله ، وعلى رأسها قبعة ضخمة تزينها عصافير محنّطة ، وهي آخر موضة في المدينة ، وتأملها الجد من رأسها إلى قدميها دون أن يقول شيئاً ، ولكن الخالة ديت بدأت الكلام بنشاط ، فقد جاءت تزفّ إليه بشارة طيبة ، وشكرته على صحة هايدي دليلاً على عنايته بها .

ولكن حان الوقت لكي يتخلص منها ، لأن فتاة في مثل سنها

ستكون مصدر متاعب لشيخ مثله ، فقد سنحت لها فرصة رائعة اليوم ، ذلك أنه تعيش في إحدى العائلات الغنية من فرانكفورت فتاة مريضة ، وجب عليها أن تقضي الأيام جالسة في كرسيها المتحرك ولديها كل ما تشتهي ، ويأتيها المعلمون إلى البيت ولا يحرمها أهلها من أي شيء لتكون سعيدة ، ولكنها تملُّ وحدها ، ولا تعرف فتاة في مثل سنها ، والآن أهلها يبحثون لها عن صديقة تسليها ، وقد وصفت لهم ديت ابنة أختها أحسن وصف ، حتى لقد تمنوا لو رأوا هذه الفتاة الأعجوبة ، وهم ينتظرون قدوم هايدي إلى فرانكفورت دون إبطاء ، وهذه فرصة لا ينبغي لهايدي أن تفرط بها ، فهزّ الجد كتفيه وقال لها : هل أنهيت كلامك ؟

فاعترضت الخالة : ليس هذا كلاماً في الهواء ، واعلم أنه لا يوجد شخص في الوادي كله لا يطير فرحاً من هذه الفرصة الرائعة ، ولا يشكر الله الذي هيأ له هذه المناسبة .

– لا أمنعك أن تنقلي هذا الخبر حيث تشائين ولمن تشائين ولكن ليس هنا .

وتساءلت الخالة هائجة : " كيف ؟ " ، وتابعت :

– هكذا تنظر إلى الأمر ، سأقول لك رأيي إذن في تربيتك

هذه الطفلة ، إنك لا تعلمها شيئاً على الإطلاق ، ولا تتركها تتعلم شيئاً في المدرسة وقد بلغت الثامنة ، وهي جاهلة كالمتوحشة ، لقد أصبحت حديث القرية كلها ، وما تقوله لا قيمة له ، لأني خالة هايدي وأنا مسؤولة عنها وسوف يوافقني الجميع على ذلك .

– حقاً ؟ أهذا ما كنت تقولينه حين جئت بالطفلة إليّ ؟

فأجابت الخالة وقد احمرت من الغضب :

– لا يهم ، افعل ما بدا لك ، وإذا كنت تفضل أن تفصل المحاكم في هذه القضية فما عليك إلا إخباري ، وربما كانت هناك حكايات قديمة لا تريد أن تطفو ، أليس كذلك ؟

– خذيها إذن واجعليها فاسدة مثلك ، ولكن لا أريد أن أراها ثانية إذا شاهدتك ، ولا أريد أن أسمع لسان الحية التي في فمك .

وخرج من البيت بخطوات واسعة ، وعيناه تقدحان شراً .

قالت هايدي مخاطبة خالتها بصوت غاضب :

– لقد أغضبت الجد .

فأجابتها الخالة وهي ترتجف غضباً :

– لا يهم ، سيهدأ ، أين ثيابك ؟

فاعترضت هايدي :

– لا أريد أن أذهب .

– أيتها الصغيرة الحمقاء ، يالك من غبية عنيدة ، ألم تسمعي الجد يقول لا يريد أن يراك ولا يراني ، ولا تعرفين كم هي جميلة فرانكفورت ، وإذا لم تعجبك رجعت ، هيا ، أين ثيابك ؟

– وهل أعود من فرانكفورت هذا المساء ؟

– متى تشائين ، ولكن أسرعي يجب أن نكون هذا المساء في ماينفيلد لنستقل قطار الغد مبكرين ، سترين القطار كم هو رائع وسريع .

جمعت الخالة ديت ثياب هايدي في صرة جعلتها تحت إبطها ، وأمسكت ابنة أختها بيدها وسارعت إلى مغادرة الكوخ ، فتلفتت هايدي عدة مرات لعلها تلمح جدها .

وصلتا إلى جانب بيت بيتر والجدة ، والمفروض أن بيتر في المدرسة ، ولكنه منح نفسه يوم إجازة ، ولم يجد فائدة في الإملاء والحساب ، ولكنه يجدها في قطع غصون أشجار اللوز الغضة ليصنع منها سلالاً .

كان قد قطع كمية من الأغصان حينما لمح هايدي تمر أمام الكوخ تجرها يد خالتها القوية ، وتجمد من المفاجأة ، ثم هتف :

– أين أنت ذاهبة يا هايدي ؟

فصرخت الفتاة :

– إلى فرانكفورت .. ولكن يجب أن أودع الجدة ، يجب أن أراها إنها تنتظرني .

قالت الخالة :

– من بعد .. من بعد ..

وأسرعت خشية أن تبدل هايدي رأيها إذا رأت العجوز ، وحين رآها بيتر تبتعد دخل إلى البيت مسرعاً ورمى الأغصان على الأرض ، فانقلب أحد الكراسي وفزعت الجدة التي تغزل في زاويتها وقالت :

– ماذا حدث ؟ هل هذا أنت يا بيتر ؟

– إن هايدي ذاهبة .. هذه المرأة الشريرة تأخذها إلى فرانكفورت .

وفهمت بريجيت في الحال ، فقد رأت ديت تصعد الألب وعلى رأسها قبعتها التي على الموضة ، وسارعت إلى الباب فرأتهما تختفيان عند المنعطف ، فهتفت :

– ديت .. ديت .. أرجوك لا تأخذي الطفلة .

وصمّت ديت أذنيها عن النداء وضاعفت سرعتها حتى اضطرت هايدي أن تركض لتلحق بها .

وقالت هايدي لاهثة :

– الجدة .. يجب أن أودع الجدة .

– من بعد .. من بعد ..

وشرحت لها ديت أنها إذا لم تعجبها فرانكفورت يمكنها الرجوع إلى درفلي ، ولكن يجب عليها الآن الوصول بأسرع ما يمكن إلى ماينفيلد ، وتمسكت هايدي بالفكرة السابقة : " ماذا أجلب للجدة حين أعود من فرانكفورت ؟ " .

قالت الخالة :

– اجلبي لها خبزاً بالحليب فهو طيب في فرانكفورت ، وربما لا تستطيع الجدة أكل خبز القرية .

فهدأ خاطر هايدي وقالت :

– فكرة جيدة ، لنسرع إلى فرانكفورت .

– حسناً أرى أنك أصبحت عاقلة .

كانتا تمران عبر قرية درفلي دون التوقف فيها ، ولكن الناس كانوا يحيون ديت بأيديهم ويهتفون :

– لقد انتزعتها من (عم الألب) .. أنت على صواب ! لحسن الحظ أنها ما تزال على قيد الحياة ، ولكن انظروا إلى ملامحها الرائعة .

وكانت ديت سعيدة وهي تجيب الناس :

– صباح الخير .. صباح الخير .. مستعجلة والله ! أمامنا طريق طويلة .

واختفتا عن الأنظار ، ولكنه كان لدى أهل القرية ما يتناقلونه لمدة ثلاثة أسابيع .

ولاحظوا أن العم قد أصبح أكثر كآبة من قبل ، وعكف على ذاته ولم يعد يرد تحية أحد .

وتعودت الأمهات تخويف أبنائهن منه وكأنه غول ويرددن على سمعهم :

– إذا صادفتم (عم الألب) فلا تقفوا في طريقه ، فقد يؤذيكم .

وكل ما يفعله جد الألب أنه يهبط إلى القرية أحياناً فيبيع الملاعق الخشبية والجبن والسلال ، ويشتري الدهن أو المسامير وحين يصل يمشي الناس وراءه جماعات وهم متفقون على أن

هايدي قد نجت منه ، ولا يقول العكس سوى الجدة وبريجيت ، ولكن أحداً لا يصدق أن العم قد يكون حنوناً مع الأطفال ، ولا أنه قد أصلح الكوخ المتداعي .

واتفقوا على القول أن الجدة عمياء ثقيلة السمع ، وأن بريجيت لا تريد أن تكذّب أمها .

ولم يكن العم يزور بيت الجدة ، وكانت البائسة تقول من وقت إلى آخر :

– لو سمعت هذه الفتاة مرة واحدة قبل أن أموت لكنت في غاية السعادة .

الفصل السادس
أشياء جديدة

كانت كلير الفتاة الصغيرة تعيش في بيت جميل رائع الأثاث ، ولديها عدد من الخدم سائق وطباخة ومربية ومدبرة منزل ، ولكنها كانت تحس بالسأم الشديد ، لأنها تظل طول النهار جالسة في كرسيها المتحرك تقرأ أو تنظر من النافذة أو تتعلم الدروس التي يعطيها لها الأساتذة .

توفيت أمها منذ سنوات ، ولا يتوقف أبوها عن الترحال لمتابعة أعماله ، بحيث أن الفتاة كانت تعيش معظم الوقت مع مربية لا تحبها ، وهي امرأة حازمة تدعى الآنسة روجمون .

ولحسن الحظ فإن أباها السيد جيرار قد فرض عليهم ألا يضايقوا الفتاة مهما كان السبب .

حينما كانت كلير تنظر إلى ساعة الحائط بعينيها الزرقاوين

وتسأل للمرة العاشرة عما إذا كانت ديت ورفيقتها قد وصلتا ، قرعت الخالة ديت جرس الباب ممسكة يد هايدي ، وسألت أولاً السائق هانس إذا كان بإمكانها رؤية الآنسة روجمون ، فأجابها السائق وهو رجل سمين أن لا علاقة له بهذه الأمور ، والمسؤول عنها هو سيباستيان ، ولكن سيباستيان الخادم أجابها بتكبر إن هذا الأمر يخص نيت فقال :

– اقرعي الجرس الآخر فتجاوبك نيت .

فعلت الخالة ما طلب منها الخادم ، وسرعان ما ظهرت مدبرة المنزل . سلمت على الخالة ونظرت إلى هايدي باستخفاف ثم اختفت ، وعادت بعد برهة وطلبت منها الدخول .

صعدا درجات ضخمة مغطاة بالسجاد ووقفتا تنتظران في حجرة المكتب ، وأمسكت ديت يد هايدي بقوة خوفاً من أن ترتكب بعض الحماقات .

نهضت الآنسة روجمون من مقعدها بكبرياء وجعلت تتفحص هايدي بنظارتين تحملهما بيدها .

كانت هايدي ترتدي ثوبها الأحمر وعلى رأسها قبعة من القش ، وأما الآنسة روجمون فتلبس ثوباً من الحرير البنفسجي

المطرزة ياقته بالدانتيل ، ورمت المربية الخالة ديت بنظرة عتاب وكأنها تقول لها إن الاختبار الأول لهايدي لم يكن ناجحاً .

وسألت الفتاة :

– ما اسمك ؟

فأجابت بصوت فرح قوي الرنين :

– هايدي .

– ولكن هذا ليس اسماً مسيحياً ، أليس لك اسم آخر ؟

– لا ، هذا اسمي .

فقالت الآنسة روجمون :

– إن ابنة أختك إما قليلة الأدب أو بلهاء .

فأجابت الخالة ديت :

– لا .. ليست كذلك ، بل هي ساذجة وتقول ما يخطر ببالها .

وشدت على يد هايدي لتمنعها من أن تنطق بكلمة ، وتابعت قولها : وسوف أجيبك عنها إذا سمحت ، فهي لم تدخل في حياتها مسكن السادة ، ولا تعرف قواعد السلوك ، ولكني أؤكد لك أنها وديعة جداً وناهة سريعة التعلم واسمها أدلايد ، مثل اسم أختي .



قالت الآنسة روجمون :

– هذا أفضل ، إنه اسم جميل يمكن النطق به على الأقل ، ولكن أظن أن عمرها غير مناسب ، توقعت أن تكون في الثانية عشرة لكي تتابع الدروس مع كلير أليس كذلك ؟

فأجابت الخالة وهي محرجة :

– اعذريني فقد نسيت عمر الآنسة كلير .. ولكن ابنة أختي أصغر منها بقليل إذ أن عمرها عشر سنوات .

فاعترضت هايدي :

– لا ، عمري ثماني سنوات .

وضغطت الخالة على يدها بقوة ولكنها لم تفهم السبب ، فهتفت المربية :

– ثماني سنوات .. أصغر بأربع سنوات من كلير ؟ هذا مريع .. وفي أي صف في المدرسة يا صغيرتي ؟

ونظرت هايدي إلى المربية فزعة ، فاستأنفت وقد ازداد هياجها :

– أظنك دخلت المدرسة ؟

فقالت هايدي بصوت خفيض :

– لا .. يا سيدتي .

– كيف ؟ أنت لا تعرفين القراءة إذن ؟ ماذا تعرفين إذن ؟

– لا أعرف .. ماذا أعرف !

فخاطبت المربية الخالة ديت :

– لم يكن هذا اتفاقنا .. كيف تجرؤين على المجيء بهذه الصغيرة المتوحشة الجاهلة ؟

فأجابتها الخالة بحزم :

– على العكس يا آنسة ، لقد كان رأيك والسيد جيرار أن تكون هذه الفتاة متميزة لا تشبه سواها ، وأتركها لك لتربيتها كما تشائين ، اعذريني يجب أن أذهب فقد تأخرت عن عملي .

ثم حيت الآنسة روجمون وهبطت الدرج مسرعة ، وبعد برهة من الذهول جرت وراءها لكي تمسك بها وتجبرها على أن تأخذ ابنة أختها معها ، ولكنها غابت عن ناظريها .

أثناء ذلك كانت كلير تتابع ما يحدث فأومأت إلى هايدي أن تقترب .

فاقتربت دون أن يبدو عليها التردد .

– ما اسمك ؟ أدلايد ؟ أنا اسمي كلير .

فأجابت :

– اسمي هايدي ، وليس لي اسم سواه .

فقالت الفتاة المقعدة :

– اسم جميل ، ولم أسمع به من قبل ، ولكن سأدعوك به ، ماذا تفعلين لكي يكون شعرك أجعد بهذا الشكل ؟

– لا أدري .. كان شعري دائماً بهذا الشكل .

– وهل أنت فرحة لأنك في فرانكفورت ؟

– لا ، ولكني سأغادرها غداً ، ويجب أن آخذ معي الخبز بالحليب للجدة .

– تريدين الذهاب ؟ ولكنك جئت لتدرسي معي ، يجب أن تبقي ، ستتعلمين القراءة وهذا شيء ممتع في البداية لأنه جديد ، أما أنا فأعرف القراءة ولذلك فإن الدروس طويلة ومملة ، وحين أريد التثاؤب تعطيني الآنسة روجمون حبوباً مرة الطعم ، ولكنها تتثاءب أيضاً ، وكذلك الأستاذ الذي يأتي من الساعة العاشرة حتى الثانية عشرة ، ويقرّب الكتاب من أنفه وكأنه ضعيف البصر ، ولكنه في الحقيقة يريد أن يتثاءب .

قالت هايدي :

– شيء مضحك .. ولكن لماذا يعطيك الدروس ؟

– لا أعرف .. بابا يريد هذا .

قالت هايدي :

– ولكني لا أريد أن أتعلم .. أريد فقط أن أشتري خبزاً بالحليب .

– أؤكد لك يا هايدي أن تعلم القراءة شيء ممتع ، والأستاذ رغم أنه يتثاءب إلا أنه لطيف ولا يغضب أبداً ، ولكن إذا لم تفهمي شيئاً فلا تسأليه وإلا بدأ يشرح لك شروحاً طويلة أكثر تعقيداً .

حينئذٍ رجعت الآنسة روجمون ولم تلحق بالخالة ديت ، وكان وجهها أحمر وزفيرها مرتفعاً وغضبها شديداً . وتوجهت إلى سيباستيان الذي كان يتفحص بعينيه المدورتين المائدة في قاعة المكتبة لأنه حان موعد غداء كلير .

وسألته بصوت جاف :

– هل كل شيء جاهز ؟ ونستطيع الغداء هذا اليوم ؟

ثم دقت الجرس لتستدعي نيت ، وطلبت منها أن تجهز غرفة هايدي وتنفض عنها الغبار ، قالت هايدي :

– لا حاجة بك إلى هذا .

ودفع سيباستيان كرسي كلير حتى وضعه وراء الطاولة وسأل هايدي :

– لماذا تنظرين إلي هكذا ؟ هل تجدين شيئاً غريباً ؟

– لا .. ولكنك تشبه صديقي بيتر راعي الماعز .

وابتسم سيباستيان ، ولكن الآنسة روجمون لا تحبذ أن يتباسط الأطفال مع الخدم .

جلست كلير إلى الطاولة وبجانبها الآنسة روجمون التي أشارت إلى هايدي لتأخذ مكانها .

حين قدم الخادم طبق الطعام ليسكب كل منهم في صحنه ، سألت هايدي :

– هل هذا الخبز بالحليب لي ؟

– بالتأكيد .

فأخذت قطعة الخبز ودستها في جيبها ، وكان الخادم ما يزال واقفاً وبيده الطبق ينتظر أن تسكب منه هايدي وهو يكتم ضحكه فقالت :

– هل يمكنني أن آكل؟

فأشار برأسه موافقاً ، فقالت :

– إذن اسكب لي .

لم يعد الخادم يستطيع السيطرة على نفسه لبساطة هايدي ، وكاد الطبق يسقط من يده ، فأنّبته الآنسة روجمون وطلبت منه أن يضع الطبق وينصرف ، ثم نظرت إلى هايدي وقالت غاضبة :

– يجب أن تتعلمي آداب المائدة .

وبدأت تشرح لها كيف تتناول الطعام ، تابعت قائلة :

– لا تنادي الأشخاص بأسمائهم بل بألقابهم ، إما سيد أو سيدة أو آنسة ، ولا أدري كيف تريد كلير أن تناديها .

فأجابت كلير :

– قولي كلير فقط .

وما زالت الآنسة روجمون تشرح بإسهاب أصول اللياقة لهايدي التي نهضت الساعة الخامسة من فراشها وقامت برحلة طويلة ، فنامت على الطاولة ..

وندمت روجمون لأنها قبلت هذه الفتاة التي لا تشبه سواها فعلاً .. وطلبت أن تُحمل إلى السرير .

الفصل السابع
كيف تقضي الآنسة روجمون نهارها



حينما استيقظت هايدي صباح الغد فتحت عينيها دهشة ، وتطلّب الأمر منها عدة دقائق لتتذكر أحداث البارحة .

كانت راقدة في سرير كبير واسع ، داخل غرفة عالية السقف والأزهار منتشرة فيها .

وآخر ما تذكره أن الآنسة روجمون كانت تعطيها بعض التعليمات بصوت مرتفع ، ثم لا تتذكر شيئاً ، وهبطت إلى الأرض وجرت نحو النافذة تنظر من وراء الستائر الشفافة .

لم ترَ في الجهة المقابلة سوى البيوت ، فمدت عنقها لترى الأشجار أو العشب أو شيئاً أخضر فلم ترَ سوى بيوت من حجر ولا أحد في الطريق ، لقد تعودت في الألب أن تنهض باكراً مثل جدها ، وسمعت الخادمة صوتها ففتحت الباب وقالت بصوت

مرح : الفطور جاهز ، أسرعي !

لم تفهم هايدي شيئاً فظنت أنه ممنوع عليها النظر من النافذة ، فابتعدت عنها وارتدت ملابسها وجلست تتساءل عما يجب أن تفعله .

بعد قليل فتح الباب ودخلت الآنسة روجمون وقالت لها بلهجة قاسية :

– ألم تسمعي أدلايد ؟ أم أنك لا تعرفين ما هو الفطور ؟ أسرعي أرجوك .

تبعتها هايدي بهدوء ، كانت كلير في قاعة الطعام جالسة على كرسيها أمام الطاولة ، فأشارت إليها بود وقالت :

– صباح الخير هايدي .

مر الفطور دون حادث ، فقد شربت هايدي الحليب وأكلت الفطيرة وتنفست الآنسة روجمون الصعداء .

ثم دفع سيباستيان كرسي كلير إلى غرفة المكتب ، وطلبت منها المربية أن تبقى مع كلير حتى قدوم (حضرة الأستاذ) ، وحين بقيت هايدي وحيدة مع كلير سألتها إن كان بإمكانها النظر إلى الخارج ، فقالت كلير :

– افتحي النافذة وانظري .

– ولكني لا أصل إليها .

– اطلبي من سيباستيان أن يفتحها لك .

وبانتظار سيباستيان طلبت منها كلير أن تحكي ما كانت تفعله من قبل ، حكت لها عن حياتها في الألب ، عن جدها وعن العنزات والكوخ والريح التي تعصف بالصنوبر .

حين وصل الأستاذ تحدثت معه الآنسة روجمون برهة وشرحت له الحالة ، إذ أن السيد جيرار قد أوكَلَ إلى الآنسة روجمون مهمة البحث عن طفلة تكون صديقة ابنته كلير لا تابعةً لها ، وعليها بالتالي أن تعامل بمثل معاملتها ، ولا تشعر بأنها في منزلة أدنى من منزلتها ، وبينت للأستاذ كم خاب أملها في هذه الفتاة التي لا تعرف القراءة ولا آداب المائدة .

وأنها تعتمد عليه لئلا يؤثر حضور هذه الفتاة على دراسة كلير ، وكم كانت تود لو رفضتها ولكنها تنتظر أوامر السيد جيرار ، لم تجد الآنسة روجمون في الأستاذ حليفاً قوياً يساعدها على التخلص من هايدي .

كان شخصاً حذراً يقلب الأمور على كافة أوجهها قبل الحكم

عليها ، لذلك صرح بأنه لن يبدي رأيه قبل أن يعلّم الأبجدية لهذه الفتاة ، وربما كان وجودها يحث كلير على الدراسة بشكل أفضل ، وعزمت المربية على الصعود إلى غرفتها ، فالأبجدية تدخل السأم إلى نفسها .

بعد فترة قصيرة سمعت ضجة هائلة وأصواتاً تستغيث بسيباستيان ، فجرت لترى مشهداً مخيفاً ، لقد تراكمت الكراسي فوق رأس هايدي ، والكتب والدفاتر متناثرة على الأرض ، وزجاجة الحبر مسكوبة على السجادة .

وأما كلير فكانت تتلوى من الضحك ، والذهول بادٍ على وجه الأستاذ .

سألت الآنسة روجمون :

– ماذا حدث ؟ إنها تلك الشقية لا ريب ! هذه البنت مصيبة حلت علينا ، مكتوب هذا في وجهها .

قالت كلير وهي تجفف دموعها :

– نعم ولكن لا تعاقبيها ، لقد سمعت هايدي صوت سيارة في الطريق ، فاندفعت لتراها وسحبت معها السجادة والكراسي دون أن تدري ، وأراهنك على أنها لم ترَ في حياتها سيارة .

قالت الآنسة روجمون مخاطبة الأستاذ :

– أصدّقت كل ما قلته لك ؟

وهرولت باحثة عن هايدي ، فوجدتها واقفة أمام الباب تتفرج على الطريق والقلق بادٍ على وجهها . قالت لها :

– أنت هنا ؟ .. كيف تركتِ دروسك ؟

قالت هايدي مندهشة :

– سمعت فجأة صوت الريح تحرك أغصان الصنوبر ، ولم أر الصنوبر حين جئت إليكم ، جريت لأراه الآن فلم أجده .

– طبعاً لن تجديه ، فالصنوبر هناك في الوادي ، وهل تظنين أن الصنوبر ينمو في شوارع فرانكفورت ؟

رجعت هايدي إلى قاعة المكتبة كئيبة ، ورأت حينئذٍ ما أحدثته من خراب ، وعرضت على الآنسة روجمون أن تنظف المكان ، لكن الآنسة أجابتها بأن الخدم يقومون بذلك ، وما عليها سوى البقاء هادئة أثناء الدرس .

فهمت هايدي وانتهى الدرس بسلام .

كان على كلير أن تنام بعد الطعام بأمر من الطبيب لأن بنيتها شديدة الضعف .

وأعلنت الآنسة روجمون لهايدي أنها حرة في أن تفعل ما تشاء أثناء نوم كلير ، وفرحت بذلك .

رسمت في ذهنها خطة وشرعت في تنفيذها ، بحثت عن سيباستيان ووقفت أمامه وهي تحدق فيه :

– يا سيباستيان أو حضرتك .

دهش سيباستيان من طريقتها في الكلام ، ولكنها تابعت :

– سأطلب منك شيئاً .. لا يسبب الضرر لأحد ، أؤكد لك .

فقال لها سيباستيان :

– ولكن لماذا تقولين لي سيباستيان أو حضرتك ، ماذا خطر لك ؟

قالت له :

– الآنسة روجمون طلبت مني هذا .

فضحك سيباستيان وقال :

– حسناً .. حسناً ما هو المطلوب مني يا آنسة ؟

فقالت :

– ليس اسمي آنسة .. أنا هايدي .

– صحيح ، ولكن الآنسة روجمون طلبت مني أن أناديك

هكذا .

– آه صار لي ثلاثة أسماء الآن ، حسناً أريد منك أن تفتح النافذة .

– بكل سرور يا آنسة .

وفتح النافذة على مصراعيها ، ونظرت هايدي فلم ترَ شيئاً حتى وهي واقفة على رؤوس أصابعها ، وقال سيباستيان :

– آه .. فهمت الآن .

قرّب من النافذة كرسياً صعدت هايدي فوقه ثم قالت يائسة :

– ولكني لا أرى سوى بيوت الحجر .

– طبعاً فنحن في فرانكفورت .

– ومن النافذة الأخرى ؟

– الشيء نفسه .

– فكيف يمكنني رؤية الوادي ؟

قال سيباستيان بصوت متأثر :

– تشتاقين إلى الصنوبر .. آه ، لكي تري الصنوبر عليك أن تصعدي عالياً ، فوق برج الكنيسة مثلاً ، ذاك الذي ترينه هناك وفي قمته كرة مذهبة ، من هناك يمكنك أن تشاهدي المدينة كلها

وضواحيها .

نزلت عن الكرسي وترددت لحظة ، ثم هرعت إلى الشارع ، حسبت هايدي أنها إذا خرجت إلى الشارع فسرعان ما تجد برج الكنيسة قريباً منها ، ولكنها لم تجد شيئاً وضلّت طريقها ، فقد كان المارة يجرون بسرعة ، ولم تجرؤ على السؤال عن الطريق ، وأخيراً رأت صبياً يحمل حيواناً غريباً على كتفه ، ومن عنقه يتدلى أكورديون صغير ، فاقتربت منه وسألته عن برج الكنيسة ، فقال الصبي :

– لا أعرف .

– لا تعرف أي كنيسة وفي قمتها برج النواقيس هنا ؟

– طبعاً ، ولكن ماذا تعطيني إذا أخذتك إليها ؟

وبحث في جيبها فوجدت صورة كلير ، وكانت قد أعطتها لها بالأمس ، فقدّمتها له وهي آسفة :

– هل تريد هذه الصورة ؟

فضحك وهو يهزّ رأسه .

– وماذا أفعل بها ؟

– ماذا تريد إذن ؟

– أعطيني قرشاً .

فقالت بتفاؤل شديد :

– ستأخذه مني في البيت ، ولكن أريني الآن الكنيسة .

انطلقا يمشيان ، وعلمت هايدي أن هذه الآلة تصدر عنها الموسيقا ، وأما ذلك الحيوان فهو سلحفاة ، ثم وصلا إلى الكنيسة الضخمة التي رأت برجها .



كانت أبوابها مغلقة ، فسألت :

– كيف ندخلها ؟

– وكيف أعرف ؟

فقالت هايدي وقد رأت سلسلة تتدلى قرب الباب :

– سأجذب الجرس ، فهل تنتظرني ؟

– نعم إذا أعطيتني قرشاً آخر .

– انتظرني إذن .

قرعت الجرس فانفتح الباب وظهر رجل هرم ، فتلفت حوله ثم وقع بصره على الولدين فقال :

– ألا تعرفان القراءة ؟ مكتوب هنا (اقرع الجرس لزيارة البرج) ، لماذا تزعجونني ؟ وإذا عدتم لهذا سأقطع آذانكم .

قالت هايدي بثقة كبيرة :

– ولكني أريد أن أصعد إلى البرج لأرى الصنوبر .

فقال مندهشاً :

– الصنوبر ؟ أي صنوبر ؟ وما هذه الحكاية ؟

فقالت ترجوه :

– مرة واحدة فقط .

فتأملها وبصوت متعب قال :

– إذا كان هذا يدخل البهجة على نفسك فاتبعيني .

ولكن الموسيقي الصغير هزّ رأسه وجلس على الدرج ، فلم تكن لديه رغبة في تسلق البرج الضخم .

تبعت هايدي الحارس الهرم إلى درج من الحجر ضيق وسخ ، تتدحرج عليه بيوض الغربان ، ثم تبعته إلى درج من الخشب ، ثم تسلقا سلماً يوصلهما إلى القمة .

حمل الحارس هايدي من تحت إبطيها فطرفت بعينيها ، كانت المدينة كلها تحت قدميها مثل بحر من الأسطحة والبيوت والشوارع الصغيرة لارتفاع البرج .

وحلق فوق برج النواقيس غرابان أزعجتهما هذه الزيارة .

سألها الحارس :

– هل أنت مسرورة ؟

– لا ، لم أشاهد ما قالوه لي .

فغمغم الحارس :

– وماذا تفهم بنت صغيرة ؟ هيا لننزل ولكن لا تزعجيني مرة ثانية !

وهبطا معاً ، وحين وصلا أمام حجرة الحارس أطلقت هايدي صرخة فرح إذ رأت قطة ضخمة لم تر مثلها ، راقدة في سلة وعدة

صغار تتزاحم حولها .

وضحك الحارس وهو يرى هايدي مهتمة بها :

– هل تريدين رؤيتها عن قرب ؟ اقتربي .. لا تخافي ما دمت معك ، فالأم لن تؤذيك .

فجثت قربها وهي معجبة :

– ما أجملها .. لم أر مثل جمالها !

وكانت الهررة الصغيرة تتواثب وتتدحرج وتتصارع فيما بينها ، سألها الحارس :

– هل تريدين واحدة ؟

فاحمرت هايدي من الفرحة :

– واحدة لي .. لي وحدي ؟

قال الحارس :

– طبعاً .. وإذا شئت خذيها كلها وإلا فسأرميها في النهر .

– سآخذها .. لا ترمها في النهر ، إن منزل كلير واسع ، وستكون سعيدة لرؤية هذه الهررة الصغار ، ولكن كيف نفعل ، إنها كثيرة .

– خذي واحدة أو اثنتين اليوم ، وأعطيني عنوانك فآتيك

بالبقية غداً .

قالت هايدي :

– أنا ساكنة لدى السيد جيرار ، ذلك البيت الذي على بابه رأس كلب من المعدن الأصفر ، وهو يمسك بفمه حلقة .

وكان الحارس من أهل فرانكفورت ، وهو يعرف معظم سكانها ويعرف سيباستيان ، فقال لها :

– أعرف البيت ، ولكنك لست بنت السيد جيرار .

قالت هايدي :

– لا أنا صديقة ابنته كلير ، وستكون مسرورة بهذه القطط ، هل أستطيع أخذ اثنتين حالاً ؟ سأضعهما في جيبي .

أبعد الحارس أم القطط ، واختارت هايدي هرتين واحدة صفراء والثانية بيضاء .

حين خرجت وجدت الموسيقي الصغير بانتظارها ، ولم يكن يعرف من هو السيد جيرار ولكنها ما زالت تشرح له معالم الطريق وتصف له البيت حتى عرفه ، فانطلقا حتى وصلاه بعد قليل .

وقرعت هايدي الجرس .

فتح سيباستيان الباب وأطلق زفرة ارتياح ، إذ رأى الفتاة

وقال لها :

– هيا .. بسرعة ، بسرعة .. لقد بحثت عنك في كل مكان ، وأنتَ هيا ابتعد !

ونظر الولد مندهشاً حين انفتح الباب ثم أغلق حالاً .

قال سيباستيان وهو يصعد الدرج أربعاً أربعاً :

– يا آنسة ، الجميع أمام المائدة والآنسة روجمون غاضبة ، إنها مثل القنبلة التي اشتعل فتيلها .

ثم قال بصوت خفيض :

– كيف خطرت لك فكرة التجول وحدك في طرقات المدينة ؟

دخلت قاعة الطعام فلم ترفع الآنسة روجمون رأسها وظلت ساكنة ، وجلست هايدي خائفة .

بعد لحظة رفعت الآنسة روجمون رأسها وقبعتها فوقه وحدقت في هايدي :

– أدلايد ! إن سلوكك غير مقبول ، لقد غادرت البيت دون إذن ، وتسكعت حتى المساء ، سننظر في هذه القضية بعد قليل .

وجاءها جواب يقول : " مياو .. " ، فنظرت الآنسة روجمون

إلى هايدي وقد احمرت عيناها :

– ألا يكفيك أيتها التعيسة أن تتسكعي في الطرقات دون إذني حتى تجاوبي عن سؤالي بهذا المزاح السخيف ؟ ولكنك لا تعرفين من أنا وماذا سأفعل بك .

– ولكن يا آنسة إنني ..

وقاطع كلامها مواء نحيل (مياو .. مياو ..) ولم يتمالك سيباستيان نفسه فكان يعض على شفتيه لئلا ينفجر بالضحك .

تساءلت الآنسة روجمون :

– هكذا إذن تجاوبين على تساؤلي بالمواء !

فهتفت هايدي يائسة :

– لست أنا .. إنها القطط التي تموء .

وصرخت الآنسة روجمون بصوت مخنوق :

– القطط .. ؟ نيت .. ! سيباستيان .. ! خذوا حالاً هذه الحيوانات المخيفة وارموها في النهر ! افعلوا بها ما شئتم ، ولكن أخرجوها من المنزل حالاً .

لم تكن الآنسة روجمون تطيق القطط ولا أي جنس من الحيوان ، فغادرت الحجرة ومضت إلى غرفتها وأغلقت عليها بابها .

رجع سيباستيان يضحك كما يريد ، وأما كلير فقد وضعت القطتين على ركبتيها وجعلت تداعبهما فرحة .

سألت كلير :

– سيباستيان ! ألا تجد لهاتين القطتين مكاناً لا تعرفه الآنسة روجمون ، إنها تخاف حتى الموت .

– حسناً .. حسناً .. سأتدبر الأمر ولكن لا تخونيني !

كان الخادم يود لو عبث بالآنسة روجمون ، وكسب مودة الآنسة كلير ، ولاحظ أن وجود هايدي في البيت يَعِدُ بكثير من المواقف المضحكة .

بعد وقت طويل واربت الآنسة روجمون باب غرفتها بحذر ، ونادت سيباستيان الذي أكد لها أن الحيوانات المخيفة لم تعد موجودة ، وكانت قد أتعبتها هذه الأحداث ، فأجّلت إلى الغد التوبيخ الشديد الذي أعدّته لهايدي ، وأما القطتان فكانتا آمنتين تحت فرن المطبخ ، وقد طفحتا من الحليب الذي قدمه لهما سيباستيان .

الفصل الثامن

تزايد الضوضاء في بيت جيرار

حينما فتح سيباستيان الباب للأستاذ وأدخله إلى حجرة المكتب بما يليق من الشعائر ، اضطر إلى الهبوط مسرعاً ليفتح الباب الذي كان يقرع جرسه عالياً ، وظن سيباستيان أن السيد جيرار قد وصل من غير سابق إشعار ، ولكنه وجد أمامه ولداً رثّ الثياب يحمل أكورديوناً ، فصاح به :

– من علمك أن تدق الجرس بهذه الطريقة ؟ ماذا تريد ؟

– أريد أن أرى كلير .

– كيف .. كلير ؟ قل الآنسة كلير مثل الآخرين ، أم تريد أن أفرك أذنيك .. وماذا تريد من الآنسة كلير ؟

– إنها مدينة لي بقرشين .

– قرشين ؟ كيف يمكن أن تستدين منك قرشين ؟

– لأني أرشدتها أمس إلى البرج ، ودللتها على الطريق ، وهذا خدمته قرشان .

فهتف سيباستيان وقد غضب فعلاً :

– أيها الكذاب ، الآنسة كلير مقعدة ولا تغادر كرسيها ، هيا ، انصرف ولا تعد إلى هذه الألاعيب .

– لا ، إني جاد في قولي ، وأستطيع أن أصفها لك فهي فتاة سمراء مجعدة الشعر تتكلم بلهجة عجيبة ، وثوبها غامق .

– آه فهمت .. ليست هذه الآنسة كلير ، حسناً .. ادخل الآن وانتظر .. وقد تعزف لهم الآن .

وصعد إلى حجرة المكتب وأعلن أن فتى يريد مقابلة الآنسة كلير شخصياً . فوجئت كلير بهذا الحدث الاستثنائي وأمرت بأن يصعد فوراً .

والحق أن الموسيقي الجريء لم ينتظر عودة الخادم بل لحق به ووقف بالعتبة .

ولم يكد سيباستيان يلتفت حتى بدأ الفتى عزفه على الأكورديون .

أما الآنسة روجهون التي لا تتحمل تعلم الأبجدية فقد بقيت في

غرفتها ، وسمعت صوت الأكورديون ، فظنت أنها تحلم أو أن الموسيقا صادرة من الشارع ، ولكي تتأكد فتحت باب غرفتها ووقفت جامدة ، موسيقي فتى يعزف الأكورديون وسط غرفة المكتب ، والأستاذ يمسّد لحيته وقد ظهر عليه السأم ، وكلير وهايدي تستمعان بابتهاج ، وأرادت أن تصرخ : " أوقفوا الموسيقا حالاً " ولكنها وهي مندفعة اصطدمت بشيء مستدير وصلب ، لم يكن في طريقها قبل لحظة ، فحدقت في الأرض ثم أطلقت صرخة رعب ، وكان سيباستيان يبكي من الضحك وهو مختبئ وراء الستارة ، لقد اصطدمت الآنسة روجمون بالسلحفاة ، وتهاوت على كرسي وهي تقول كالمغمى عليها :

– سيباستيان ، ارم كل هذا في الخارج .. الموسيقا .. والموسيقي .. والحيوانات فوراً .

فأمسك بالموسيقي وساقه أمامه ، فانحنى الفتى وحمل سلحفاته وهو مندهش لتصرف الخادم ، ومشى إلى الطابق الأرضي دون مقاومة .

أعطاه سيباستيان خمسة قروش وهو يقول له :

– خذ يا بني ! قرشان لأنك رافقت الفتاة الصغيرة ، وثلاثة

قروش لأنك عزفت جيداً هذا اليوم .

استؤنف الدرس في حجرة المكتب بحضور الآنسة روجمون ويداها مطويتان على صدرها وعلى رأسها قبعتها العالية .

بعد لحظة قرع جرس الباب ثانية وأعلن أن هناك سلة للآنسة كلير فأين توضع ؟

هتفت كلير :

– ليصعد إلى أعلى .

حملها سيباستيان إلى كلير .

قالت الآنسة روجمون :

– آمل ألا تفتحي هذه السلة حتى تنتهي من دروسك .

كانت الفتاة مشوقة لتعرف ما بداخل السلة ولم تكن تصغي إلى الدرس ، فتوقفت وهي تصرف أحد الأفعال ، وقالت لأستاذها :

– دعني ألقي نظرة على السلة أرجوك !

فقال :

– الحق أنني أميل إلى الرفض ، ولكن بما أن الوضع الحالي يشير إلى أنك لا تصغين ما دامت السلة مغلقة ولا تعرفين ما فيها

فافتحيها إذن .

ومالت إليها ففتحتها ثم أطلقت صيحة فرح جاوبتها صرخة ذعر أطلقتها الآنسة روجمون ، إذ اجتاحت حجرة المكتب موجة من الهررة تتسلق في كل ناحية وتقفز على الأثاث وتتمسك بالستائر ، وتشدّ إليها ملابس المربية وبنطال الأستاذ .

قالت كلير :

– انظري إلى هذا الصغير الأسود ذي البقع البيضاء .. ما أجمله !

فقالت هايدي :

– وذاك الآخر الذي يجري إلى القاعة وله شاربان .

كان الأستاذ يقفز على قدم ويرفع الأخرى لئلا يدوس الهررة ، أما الآنسة روجمون فقد انهارت في مقعدها وغطّت عينيها بيديها ثم صرخت :

– سيباستيان .. نيت .. النجدة !

وبعد ملاحقة معقدة أمكن اصطياد الهررة الستة وإرجاعها إلى السلة ، ثم انضمت إلى أخواتها في المطبخ .

في المساء حققت الآنسة روجمون وعرفت سبب هذه الأحداث

الخارقة للعادة ، ثم طلبت منه أن يرسل إليها هايدي .

قالت لها : ستنالين عقابك هذه المرة وتتعرفين على القبو حيث الفئران تأكل أذنيك ، وستندمين على كل هذه الألاعيب فأنت فتاة ناكرة للجميل !

سمعت هايدي هذه النعوت دون أن تفهم معناها ، ولم تكن خائفة من الفئران بل على العكس تحبها ، لأنها ألفتها في الكوخ حيث يضع الجد قطع الجبن ، ولم تجد في هذه العقوبة شيئاً مخيفاً ، وضاعت فصاحة الآنسة روجمون هباء .

أما كلير فكانت تعارض معاقبة هايدي وهتفت :

– يجب انتظار عودة بابا ونحكي له ما حدث ، ثم يقرر هو إن كانت هايدي تستحق القبو أم لا !

– حسناً سننتظر عودة السيد جيرار ، ولكن اطمئني سأحكي له كل شيء بالتفصيل .

وغادرت الحجرة باعتزاز دون أن تلقي نظرة واحدة على أحد .

مرت على هذه الأحداث عدة أيام ، ولكن الآنسة روجمون لم ينطفئ غضبها ، فقد كانت ترى أن الأمور تسير بحالة سيئة منذ

وصول هذه الصغيرة المتوحشة ، ولم تطب لها فكرة (الصداقة) هذه ، وكانت تؤيدها في رأيها نيت التي لا تحب هايدي أيضاً .

أصبحت كلير أكثر مرحاً يوماً بعد يوم ، ولم تملّ أثناء الدراسة إذ كانت هايدي تقوم بأعمال مضحكة ، كأن تخلط بين الحروف الأبجدية أو تمسك الكتاب بالمقلوب .

أما التي لم تكن سعيدة فهي هايدي ، فقد أحست بالوحدة رغم رقة كلير وسيباستيان والأستاذ ، وتتساءل دوماً : لماذا تنظر إلي الآنسة روجمون نظرات حاقدة ؟ لماذا تكرهني نيت ؟ أنا لم أؤذهما ! ..

بعد الظهر أثناء القيلولة تحكي هايدي لكلير عن حياتها في الألب وتحدثها عن العُقاب وجبال الجليد والعنزات ، وتختم حديثها بهذه الكلمات : يجب أن أذهب فالجدة تنتظرني .

فكانت كلير تواسيها وترجوها أن تنتظر عودة أبيها الذي سيتخذ قراراً في هذا الموضوع .

كما كان لدى هايدي سلوى أخرى هي الخبز بالحليب ، فتضع كل يوم قطعة خبز بالحليب في جيبها ، ثم تدخل غرفتها فتخبئه في الخزانة من أجل العجوز ، حتى أصبح لديها كمية كبيرة

تتأملها هايدي باعتزاز ، لقد أصبح يابساً ولكن لا يهم إذ يمكن غمسه في الحليب ، أما الخبز الأسمر إن يبس فلا حيلة لك فيه .

تضاعف حنين هايدي يوماً بعد يوم ، فقد أمضت ثلاثة أعوام من عمرها تجري بانطلاق في مروج الألب الواسعة ، وإذا بها الآن محبوسة بين أربعة جدران من هذا البيت الفخم الذي تحيط به بيوت فخمة مثله ، وتمتد إلى نهاية مدينة فرانكفورت .

كانت تنام كل مساء وهي تحلم بالقمم الثلجية الخالدة وجبال الجليد التي تقبّلها الشمس قبل أن تنام والكوخ القديم .

وبعد ثلاثة أيام لم تعد تطيق صبراً وكادت الدموع تطفر من عينيها ، وحين تناولت الطعام صعدت إلى غرفتها وخلعت ثوب المدينة الزاهي ولبست ثوبها الصوفي الأحمر ، ووضعت على رأسها قبعة القش الصغيرة ، ثم حزمت الخبز بالحليب في صرة واحدة وجعلت حوائجها في السلة وهبطت الدرج بجرأة لترجع إلى بيتها .

وفتحت الباب لتجد الآنسة روجمون أمامها ، تأملت هايدي من رأسها إلى قدميها وقالت : ما معنى هذا ؟ ما هذه المسخرة ؟ ألا تعلمين أنه ممنوع الخروج دون إذن ؟ وهل ستذهبين للتسكع في أزقة المدينة وأنت متنكرة في هذه الثياب ؟



هتفت هايدي وعيناها تلمعان :

– لست ذاهبة لأتسكع ولست متنكرة ، لقد تعبت ويجب أن أعود إلى بيتي .

وصرخت الآنسة روجمون وأمسكت بذراعها لتجرها إلى البيت :

– كيف ؟ يا ناكرة الجميل ؟ أهذا جزاؤنا بعد كل ما فعلناه من أجلك ؟ لقد أطعمناك وكسوناك وعلمناك ، فهل ينقصك شيء أيضاً ؟

وانفجرت هايدي المسكينة بالبكاء :

– نعم اشتقت إلى الجدة التي تنتظرني وتنتظر الخبز بالحليب ، وهناك العنزات التي يضربها بيتر لأنني لم أعد أعطيه الجبن ، وهناك الشمس التي تلقي تحية المساء على الجبال ، وهناك الجد وحيداً في الألب .. أريد أن أمضي ..

– يا إلهي ! .. لا تقولي إنك لا تحبين فرانكفورت !

– لا .. لا أحب فرانكفورت ، ولو حلّق عقاب الألب فوق الناس هنا لقال لهم : إنهم أشرار لأنهم سجناء ، والأجدى بهم أن يذهبوا للبحث عن السعادة في جبال الألب .. هذا ما يهتف به لهم

العقاب .

– إنها مجنونة .. مجنونة .. هذا كل ما في الأمر .

والتفتت ، فاصطدم وجهها بوجه سيباستيان الذي كان يهبط الدرج ، فسقطت على الأرض ، فأمسك بها وهو يحك أنفه بيده الأخرى ، فصرخت به :

– هيا أسرع إلى هذه الشقية الصغيرة .

ولم تلاحظ أن قبعتها اندهست على رأسها .

كانت هايدي واقفة وعيناها مملوءتان بالدمع وهي ترتجف من الانفعال ، قال لها سيباستيان وقد ركع ليكون بطولها :

– هيا يا آنستي الصغيرة ! لا تخافي .. أنا أيضاً لا أخاف ، وكاد أنفي ينكسر ، هيا ! اصعدي معي !

فصعدت معه وهي تشهق وتجفف دموعها فتابع قائلاً :

– هيا .. تشجعي ! أنت لم تبكي سوى مرة واحدة منذ جئت والأطفال في مثل سنك يبكون عشرين مرة في اليوم الواحد ، وسترين القطط الصغيرة كيف تقفز وهي مسرورة ، أليس كذلك ؟

هزت هايدي رأسها دون أن تجيب ، وسيطر عليها الحزن ، فرقّ لها قلب سيباستيان .

وقت الغداء لم تنطق الآنسة روجمون بكلمة ، ولكنها تلقي من حين إلى آخر نظرة إلى هايدي ، وكأنها تخاف أن تصيبها نوبة جديدة من الهياج الجنوني .

من الغد تكلمت الآنسة روجمون مع الأستاذ على انفراد ، وأعربت عن خوفها من أن تكون هذه الفتاة مجنونة ، وأنها تريد العودة إلى الجبال وخاصة – وهذا الأهم – أنها طلبت من العقاب أن يأتي ويصرخ فوق فرانكفورت .

– أليس هذا دليلاً على جنونها ؟

فأجاب الأستاذ وهو يمسد لحيته :

– لا ، لا أظن ، وربما كان تصرفها غريباً لكنه مألوف لمن كان في مثل ظروفها ، ولكن الشيء الذي يثير قلقي هو أنها لم تتقدم في القراءة إطلاقاً .

وشرح لها أنه استخدم كل الوسائل التربوية لكنها لم تتقدم ، وهي تقوم بمقارنات غريبة في ذهنها مما يدل على تميزها .

لقد هدّأ هذا من روع الآنسة روجمون ودفعها إلى التفكير في طريقة ارتداء هايدي ثيابها .

وقالت لنفسها : " لعل بعض الملابس القديمة لكلير تلائم

ذوقها ، فمضت إلى غرفة هايدي لتبحث عن بعض الملابس " .

بعد لحظات خرجت وهي مرعوبة ونادت هايدي :

– ما هذا يا أدلايد ؟ ماذا تفعلين بكل هذا الخبز في الخزانة ؟ الخبز في خزانة الثياب ! والفئران ؟ نيت .. نيت .. اكنسي الخزانة فوراً ، وارمي كل هذه الأوساخ وكذلك القبعة العجيبة .

فصرخت هايدي :

– لا .. لا ، أرجوك اتركي قبعتي ، وكذلك الخبز بالحليب ، إنه من أجل الجدة أرجوك .

– اخرسي أيتها الشقية !

ورمت هايدي نفسها على الأرض ترجوها دون جدوى .

فهرولت إلى كلير التي واستها ، لكن هايدي لم تكف عن البكاء .

– أخذوا قبعتي والخبز بالحليب الذي خبأته للجدة ، كانت تأكل الخبز اليابس طول حياتها ، والآن بعد أن سقطت أسنانها لا بدّ لها من خبز بالحليب .

قالت لها كلير :

– هيا .. لا تبكي ، سأعطيك غيره وأكثر منه ، وسيكون

خبزاً بالحليب طازجاً ، وأما ذلك فهو خبز يابس لا تستطيع الجدة أن تأكله .

كانت هايدي تحاول أن تجفف دموعها لكنها تسيل رغماً عنها :

– هل هذا صحيح ؟

وقت العشاء كانت عيناها حمراوين منتفختين ، وكادت تنفجر بالبكاء حين لمحت الخبز أمامها ، ولكنها تحكمت في نفسها لأنهم علموها أن تكون مؤدبة وقت الطعام ، ولكن الذي لم يكن مؤدباً هو سيباستيان ، فحين يمر من وراء الآنسة روجمون يخرج لسانه أو ينفخ خديه محاولاً إضحاك هايدي وتخفيف حزنها ، ولكنها لم تستجب له لأنها لا تعرف ما يريد .

حينما صعدت إلى غرفتها فماذا وجدت ؟

وجدت قبعتها الحمراء تحت المخدة ، فضمتها إلى صدرها ولفتها بثوبها الأحمر ، وخبأتهما داخل الخزانة تحت ثيابها كلها ، ما أروعك يا سيباستيان !

كانت نيت تنظف الغرفة وتحمل صرة الخبز اليابس ، فخطف سيباستيان القبعة منها وقال لها :

– حسناً .. سأرميها أنا .

ثم حملها إلى غرفة هايدي .

لذلك كان يقوم بكل هذه الحركات المضحكة وقت العشاء .

الفصل التاسع

حين اطلع صاحب البيت على الأمور العجيبة



بعد أيام ظهرت في البيت حركة غير مألوفة ، إذ عاد السيد جيرار من السفر ، وفي كل مرة كان يحمل معه عدداً من العلب والطرود ، فيحملها سيباستيان ونيت إلى الداخل .

ومضى السيد جيرار مباشرة ليرى ابنته في حجرة المكتب ، وكانت هايدي جالسة بقربها .

فقال بعد أن قبّل ابنته بحنان :

– ها .. ها .. هذه هي السويسرية الصغيرة ، اقتربي يا بنيتي لا تبتعدي .

فصافحها ثم قال :

– هل أنتما صديقتان أنت وكلير ؟ أم تتخاصمان ثم تتصالحان

ثم تبدأان من جديد ؟

أجابت هايدي :

– لا يا سيدي ! كلير لطيفة معي على الدوام ، ولا نتخاصم أبداً .

وزادت كلير :

– أبداً .

فقال السيد جيرار مبتسماً :

– حسناً .. أنا مسرور بهذا ، سآكل لأنني لم أتناول شيئاً منذ الصباح ، وأعود لأريكم ما جئت به !

ولكن حين دخل قاعة الطعام وجد الآنسة روجمون وكأنما حلت عليها كارثة ، سألها مندهشاً :

– ماذا حدث ؟

فقالت بصوت مخيف :

– حدث أننا خُدعنا يا سيدي !

– وكيف ؟ ومن خَدَعنا ؟

– أنت تعلم أننا اخترنا سويسرا للبحث عن فتاة طيبة من عائلة نبيلة حسنة الأخلاق لا تشبه سواها من البنات .

– ولماذا سويسرا ؟

– لأن ذرى الجبال المغطاة بالثلوج الأبدية ترتقي بالروح .

قال السيد جيرار :

– لا أظن ذلك ، وهذا لا يحدث إلا في الروايات ، ولكن أتمنى لأهل سويسرا أن يكونوا أكثر واقعية وإلا احتاجوا إلى أجنحة .

– إنني أتكلم بجدية يا سيدي ، لقد خُدعنا خداعاً عظيماً .

– ولكن كيف خُدعنا ؟ هل تتحدثين عن هذه السويسرية الصغيرة ؟ لقد وجدتها وديعة وتركت لدي انطباعاً جيداً .

فشبكت يديها تعبيراً عن حزنها وقالت :

– آه يا سيدي لو رأيت كيف ملأت البيت بالحيوانات ! وماذا فعلت أيضاً !

– أي حيوانات ؟ وماذا فعلت أيضاً ؟

فقربت وجهها من السيد جيرار وقالت بصوت هامس :

– هذه الفتاة مجنونة .

توقف السيد جيرار عن الضحك ، فهو لا يريد أن تصحب ابنته فتاة غير متزنة فتكون العواقب وخيمة .

وساءل نفسه هل الآنسة على صواب أم أنها فقدت هي صوابها ؟

وتابعت قولها :

– ها هو الأستاذ قد جاء وسيقول لك رأيه .

وهتف السيد جيرار :

– آه .. حضرة الأستاذ ! تفضل .. تفضل وتناول معنا فنجان شاي .

صافح الأستاذ وأجلسه بقربه :

– لقد كلمتني الآنسة روجهون عن أشياء خاصة لدى رفيقة كلير ، فما هذه الحيوانات التي ملأت بها البيت ؟

سلّك الأستاذ صوته ثم قال بلهجة البحّاثة :

– أود قبل كل شيء أن ألفت انتباهكم يا سيدي إلى نقطة معينة ، فإذا أردنا الحديث عن هذه الفتاة أو بالأحرى مزاجها فأقول : إن غياب التعليم في وسط الجبال وهو ما أدعوه الغياب الشامل للتطور الثقافي ..

فقاطعه السيد جيرار :

– أرجوك أن تقول لي ببساطة ما رأيك بالفتاة ، وما هي

الحيوانات التي أدخلتها إلى البيت .

– الحق أنني لا أريد أن أعطيك رأياً سلبياً عن هذه الفتاة ، وأظن أن الحياة المنقوصة ثقافياً التي عاشتها قبل وصولها إلى فرانكفورت واتصالها بالحياة الحضرية انطلاقاً من بيئة فلاحية ..

– حسناً يا سيدي الأستاذ ..

ونهض إذ لم تكن لديه رغبة في الاستماع إلى محاضرة في الصراع الحضاري للبيئات الثقافية ، ثم تابع :

– سأسأل كلير بنفسي .

في حجرة المكتب جلس إلى جانب كلير وأمسك يدها ، فنهضت هايدي .. لم يدرِ ما يفعل لكي يبعدها عن الغرفة فقال :

– أرجوك يا صغيرتي هاتي لي .. هاتي لي .. كأس ماء .

قالت :

– ماء بارد ؟

– ماء بارد أبرد ما يكون .

فخرجت مهرولة ، وقال السيد جيرار وهو يحدق في عيني ابنته :

– قولي بصراحة لقد جلبت صديقتك إلى المنزل كل أجناس

الحيوانات ، فما هي تلك الحيوانات ؟ ولا بد أن عملها هذا خطير للغاية حتى لم تجده الآنسة روجمون عملاً معتاداً .

– آه .. إنها بعض القطط الصغيرة .

– قطط صغيرة ؟ كل هذه الضجة من أجل قطط صغيرة ؟

حكت له كلير تفصيل الأحداث التي جرت منذ قدوم هايدي ، وروت له كلام العقاب الذي وجدته الآنسة روجمون أمراً غريباً .

وحكت له كيف قفزت الآنسة رعباً لمجرد رؤيتها سلحفاة بائسة ، فضحك وسألها :

– إذن هايدي الصغيرة مالكة لقواها العقلية ؟ وإذا لم تكوني متفاهمة معها أعدتها إلى بلادها .

فقالت جزعة من هذه الفكرة :

– لا .. بابا .. أرجوك لا تفعل ! منذ وجودها معي تسليت كثيراً فهي تروي لي حكايات رائعة .

– طيب .. طيب .. ها قد عادت .

فدخلت هايدي لاهثة وقالت :

– اعذرني يا سيدي إن تأخرت ، ولكنه أبرد ماء يمكن أن

تشربه فهو من النافورة .

فقالت كلير :

– وهل جريت إلى النافورة ؟

– نعم كان الناس مزدحمين على النافورة الأولى والنافورة الثانية فركضت حتى الثالثة وملأت الكأس منها ، إنه بارد جداً ، كان هناك رجل طيب طلب مني أن أبلغك تحياته .

قال جيرار ضاحكاً :

– آه .. هذا سباق المسافات الطويلة ، ومن هذا الرجل ؟

– لا أدري ولكنه طلب مني أن أعطيه الكأس ليشرب منه فقلت له : لا أستطيع لأنه للسيد جيرار .

فضحك وقال :

– بلغيه تحياتي ، وأملي أن يكون الماء على ذوقه .

– وكيف شكل هذا الرجل ؟

– يحمل سلسلة ساعة غليظة ، وبيده عصا تنتهي برأس حصان .

فهتف الأب وهتفت كلير أيضاً :

– إنه صديقنا الطبيب .

وضحك السيد جيرار وهو يتصور كيف أن الطبيب سيشيع عنه طريقته الجديدة في الحصول على الماء البارد .

ذلك المساء جاءت إليه الآنسة روجمون لتحادثه في شؤون المنزل ، فقال لها إن الصغيرة هايدي تلائم ابنته كلير تماماً ، وإنها سليمة القوى العقلية ، وإنها ستبقى في البيت ، ثم أضاف وهو يؤكد على بعض الكلمات :

– آمل أن تعامَل هذه الطفلة بحنان وألا تعدّ تصرفاتها البريئة جرائم ضد الإنسانية ، وعلى أي حال سوف أخفف عنك أعباء المنزل ، لأن والدتي ستأتي لزيارتنا ، وأنت تعلمين كيف تحسن التصرف مع الناس .

فقالت وهي تعَض على شفتيها :

– بالطبع يا سيدي .

ولم تكن راضية لأنها حرمت من بعض سلطاتها .

لم يبقَ السيد جيرار في البيت سوى أسبوعين ، ثم غادره إلى باريس وأخبر كلير أن جدتها ستصل قريباً .

وأدخل هذا النبأ الفرح على قلب كلير ، وكانت تفيض في الحديث عن جدتها حتى إن هايدي اعتبرتها جدتها أيضاً .

لم يكن هذا التسيب ليروق للآنسة روجمون ، فنادت هايدي وقدمت لها الدرس التالي :

– إن جدة كلير ليست جدتك ، وحين تأتي سوف تناديها (سيدتي) مثلما يفعل الجميع .

وعجبت هايدي فما المانع من ألا تنادى هذه من بين جدات الدنيا باسم (الجدة) ، ولكنها أطرقت برأسها ووعدت بأن تناديها (سيدتي) .

ومضت الآنسة روجمون وهي تحسب أنها قد أدت خدمة إلى الإنسانية .

الفصل العاشر

جدة كلير

ما أن أعلنت جدة كلير عن موعد وصولها إلى فرانكفورت حتى ظهر في البيت الاحترام الذي يكنونه لها ، والدور الهام الذي تقوم به .

فالسائق الذي ذهب ليأتي بها من المحطة لَمّع عربته دون حاجة لذلك ، واعتنى بخيولها عناية خاصة ، أما نيت فقد لَمّعت الأثاث أيضاً ووضعت على رأسها منديلاً جديداً ، وأضاف سيباستيان مقاعد أخرى ونفّض السجاد ، وباختصار : لقد أصابت البيت حمى من النظافة .

وكانت الآنسة روجمون قد وضعت على رأسها قبعة جديدة ، وارتدت ثوباً من الحرير يلف جسدها ، وتدور في البيت متفحصة كل قطعة فيه ، وقد شدت قامتها كأنما بلعت مظلتها ، وذلك كي تبين للخدم أن القضية هامة وأن سلطتها على البيت لم تنته بعد .

من الغد عاد السائق إلى المحطة ووقفت عربته أمام المدخل بدقة متناهية ، واندفع سيباستيان ونيت يفتحان البوابة ويتناولان الحقائب ، ثم تبعتهم الآنسة روجمون تمشي بكبرياء مصطنعة ، فسلمت على السيدة جيرار ، وأمرت هايدي بأن تمكث في غرفتها حتى إشعار آخر ، وكان واضحاً أن الجدة تريد البقاء وحيدة مع حفيدتها ، كانت هايدي جالسة على كرسي تعيد لنفسها كيف تنادي السيدة جيرار ، ولم تنتظر طويلاً كما توقعت ، وقالت لها بصوت ساخر : هيا ، السيدة تريد أن تراك .

وقد دهشت إذ رأت سيدة رائعة ، بيضاء الشعر ترتدي الحرير وتقول بضحكة رائعة :

– اقتربي لأراك جيداً .

فاقتربت وهي خائفة :

– صباح الخير ، سيدتي .

فقالت لها :

– ناديني (الجدة) مثلما يفعل الجميع ، واعلمي أنني جدة كل الأطفال ، ما اسمك ؟

– اسمي هايدي .. واسمي كذلك أدلايد كما يقال .



فقالت الآنسة روجمون :

– يجب أن تناديها أدلايد .. إنه اسم مسيحي .

قالت الجدة :

– قد أكون امرأة عجوزاً ، ولكن لا أعرف السبب لأن أنادي طفلة اسمها هايدي باسم أدلايد ، ولا يجب أن نعطيها اسماً آخر غير اسمها الحقيقي .

فعضت الآنسة روجمون شفتيها .

أما هايدي فكانت مبتهجة ، إن السيدة جيرار هي الجدة التي تخيلتها تماماً .

وازداد حاجبا الآنسة روجمون تقطيباً إذ علمت أن السيدة جيرار قد سمحت لهايدي أيضاً بأن تناديها (الجدة) .

من الغد بقيت الجدة بصحبة كلير حتى وقت القيلولة بعد الظهر ، ثم نهضت بهدوء وبحثت عن الآنسة روجمون :

– هل يمكنك أن تقولي لي أين هايدي ؟

فقالت مندهشة :

– في غرفتها كالعادة ، فهي تظل في غرفتها و لا تفعل شيئاً مفيداً ، وأظنها مختلفة عن الناس .

– وأنا أيضاً لبثت في غرفتي بعد الظهر ، وخطر لي أفكار كثيرة ولكن هذا لا أهمية له ، وأرجوك أن تطلبي من هايدي أن تأتي إلى غرفتي ، سوف أعطيها كتاباً مصوراً .

– كتاباً مصوراً ؟ .. ولكنها ستمزقه ، إنها غير قادرة على تعلم الأبجدية .

– سنحاول معها .

وعادت الجدة إلى غرفتها تفكر بطريقة تعلم بها هايدي ، وتمنت لو تسأل الأستاذ ولكنها تتجنبه وتسلم عليه من بعيد خشية أن يسترسل في محاضراته المملة .

جاءت هايدي ، فانعقد لسانها دهشة أمام روعة كتابُ الصور الذي أعطته الجدة لها ، وبعد عدة صفحات ترقرقت الدموع في عينيها ثم انفجرت بالبكاء .

فقالت لها الجدة :

– ما بك يا بنيتي ؟

– إنها الصورة .

– آه ، نعم ، أفهمك الآن .

كانت الصورة مروجاً فسيحة تتجول فيها عنْزات ويحرسها راع صغير ، وكانت السماء محمرة لأن الشمس موشكة على المغيب .

– لا تبكي يا هايدي ! لقد عرفت سبب دموعك ، كفكفي دمعك ، ولكن هل تعلمين أن هناك حكاية مكتوبة تحت الصورة ؟ هل تريدين أن أحكيها لك ؟

فأجابت وهي تشرق بدمعها :

– نعم .

– وماذا تتعلمين مع الأستاذ ؟ هل تعلمت القراءة ؟

– لا ، وهذا مستحيل .

– مستحيل ؟ ولماذا هو مستحيل ؟

– لأنه لا يمكن عمله وقد قال لي بيتر هذا الكلام ، لقد حاول عدة سنوات ثم أدرك أن هذا مستحيل .

– أنت تثقين ببيتر ، ولكن يجب أن تثقي بي أيضاً ، ألا تريدين أن تعرفي الحكاية التي تحت الصورة ؟ .

– بلى ، إذا عرفت القراءة ولو قليلاً .

– يكفيك قليل من الجهد ، والقراءة ليست صعبة في الواقع .

وسرعان ما بدأت تريها الكلمات واحدة بعد الأخرى .

انقضت عدة أيام ، وكانت هايدي قد تبدلت منذ أن أمسكت بها الآنسة روجهون وهي تغادر البيت ، وأدركت أنها لن تستطيع العودة إلى الجبال وقت تشاء ، ولعلها ستبقى في فرانكفورت مدةً ، بل مدةً طويلة أيضاً ..

وإذا حاولت أن تعود إلى جدها فسوف ينعتونها بالبنت الناكرة للمعروف ، وقد تصبح الجدة أيضاً شريرة معها مثل الآنسة روجمون ، فتنهدت وأطرقت برأسها .

وأما في أعماق قلبها فقد كان الحنين ينمو ويمدّ جذوره .

لقد فقدت شهيتها للطعام تدريجياً وتغير لونها ، وفي المساء حينما تتمدد في سريرها لا يأتيها النوم سريعاً .

وحين تغفو تحلم بجبال الجليد اللامعة وبالعقاب يصرخ فوق ذراها ، وفي الصباح حين تنهض والحلم ملء جفونها ، تتخيل أنها ستفتح الباب لتنطلق إلى المروج الخضراء التي تنبت فيها أزهار النرجس والمنثور ، ولكنها في غرفة من بيت حجري في فرانكفورت ، فترتمي على المخدة وتبكي .

لم تلبث الجدة أن لاحظت هذه الحالة ، وراقبت هايدي بانتباه خلال أيام لتعرف إن كانت ستجتازها ، ثم استدعت هايدي إليها في غرفتها وسألتها عما يدعوها للبكاء .

فقالت مطرقة الرأس :

– لا أستطيع أن أقول لك .

– ولمن تقولين إذاً ؟ يا بنيتي حينما يكون الإنسان حزيناً فيجب أن يفضي بحزنه إلى أحد ، وإذا لم يستطع فإنه يشكو إلى الله الذي يستجيب شكوانا ويعيننا ، هل تفهمين ما أقول ؟

– نعم .

– فأطلب منك أن تسألي الله ليعينك .

وأحست هايدي بالطمأنينة تتسرب إلى روحها ، وبدأت منذ ذلك اليوم تصلي وتدعو الله أن يعيدها إلى جبال الألب بأسرع ما يمكن لكي ترى جدها وجبالها والجدة العمياء ، وتسأله سبحانه أن يعلمها الأبجدية .

بعد أسبوع طلب الأستاذ رؤية السيدة جيرار من أجل حادثة (عجيبة حقاً) ، فاستقبلته وسألته :

– آمل أن لا يكون الأمر خطيراً .

– لا بالتأكيد ، ولكن حدث خلال هذا الأسبوع أمر كنّا قد فقدنا الأمل في حدوثه ، وذلك أن هايدي تعلمت القراءة .

فابتسمت الجدة :

– غير معقول !

– وإني لأتشرف بإبلاغك هذا الخبر ، لقد جربت كل الوسائل لتعليمها الأبجدية دون فائدة ، وخلال أسبوع بدأت الفتاة تقرأ بسهولة لم أصادفها أبداً لدى المبتدئين ، ولا أدري كيف أفسر هذه الحالة .

– هكذا حال الدنيا يا أستاذ تحدث فيها أمور لا يمكن تفسيرها ، وقد تكون طريقة التعليم قد تصادفت مع رغبة فيها ، ولماذا لا يعود هذا التقدم إلى منهجيتك التربوية ، فافرح بهذا النجاح .

هذا المساء حينما جلست هايدي إلى المائدة وجدت في الصحن كتاباً جميلاً غلافه أحمر ، يحتوي عدداً من العبارات ، واحمرت من الفرحة وهي تسمع الجدة تقول :

– نعم ، إنه لك .

– هذا لي حتى عندما أغادركم ؟

– طبعاً وسنبدأ في قراءته منذ الغد .

فقالت كلير بحنان :

– ولكن لن تغادرينا قبل زمان طويل .

ومنذ ذلك الحين صارت الجدة تصغي إلى حكاية تقرؤها هايدي من الكتاب الأحمر الكبير ، وتفسر الجدة ما صعب على هايدي فهمه بكثير من التفاصيل .

كانت الحكاية المفضلة لدى هايدي حكاية (الولد الضال) وهي حكاية فتى يرعى قطيع والده في الجبال ثم يبذّر كل الأموال التي أعطاه إياها أبوه .

يضطر الفتى إلى رعي خنازير الفلاحين ويأكل من طعامها ، وفي الخاتمة يرجع إلى أبيه تائباً ، ويفتح له أبوه ذراعيه مرحباً بولده الحبيب .

كانت هايدي لا تمل من قراءة هذه الحكاية .

كانت الأمور تسير سيراً حسناً ما دامت الجدة في البيت ، ولكنها أعلنت ذات يوم أنه يتوجب عليها الرحيل .

الفصل الحادي عشر

أرباح وخسائر



أثناء إقامة الجدة في فرانكفورت كانت تستدعي هايدي إليها حين تقضي كلير وقت القيلولة ، فتتحدثان عن كثير من الأمور .

وكان لدى الجدة كمية من قطع القماش المتبقية من الخياطة ، فعلمتها كيف تصنع منها فساتين وتنورات للعرائس ، وبذلك تعلمت الخياطة دون عناء .

أما متعتها الكبرى فقد كانت القراءة ، ومن المؤسف أنها لا تفرق بين القصة المطبوعة والقصة الواقعية ، وحين تتصور أن البطل قد أصابه مكروه تتألم فعلاً أثناء مطالعاتها ، وتبكي أحياناً كثيرة .

لاحظت الجدة في الأسبوع الأخير من إقامتها هذا التغيير الذي طرأ على هايدي فسألتها :

– إنك قليلة الضحك ، هل تشعرين بالكآبة ؟

– أشعر بالكآبة حين أصلي ولا تتحقق أحلامي .

– لاتنسي يا بنيتي أن الحياة صعبة ، وما كل ما يتمناه الإنسان يناله ، ولكن لا تفقدي ثقتك بنفسك ولا تنقطعي عن الصلاة لأن الله مضطلع على أحوال الإنسان الظاهرة والخفية ، وهو الذي يجازي المحسنين بالإحسان والمسيئين بالعذاب ، وهو يعرف ما يفيدنا وما يضرنا ، لأن الله سيختار أحسن ما يفيدنا ويعطينا أكثر مما نطلب ولذلك قولي دائماً : " إن الله لم يهبني بعد ما أريد ، ولذلك سأداوم على الصلاة والدعاء حتى يرضى عني ويعطني أكثر مما تمنيت " .

أصغت هايدي إلى هذا الكلام الجميل بكثير من الانتباه ، ثم قالت :

– سأستمر في الصلاة .

فمسدت الجدة رأسها وقالت :

– هذا أفضل .

حان وقت رحيل الجدة ، وكان يوم احتفال بالنسبة إلى كلير وهايدي ، وكانتا مشغولتين بأشياء كثيرة حتى وقفت العربة أمام الباب لكي تأخذ الجدة إلى محطة القطار .

وحين مضت بدا البيت مهجوراً والصمت مخيماً على كل شيء .

وهايدي هائمة تصعد الدرج وتهبط منه على غير هدى .

وفي الغد حينما حان وقت قراءة الحكاية التي تعودت الفتاتان قراءتها مع الجدة جاءت هايدي وكتابها بيدها وقالت :

– سأقرأ الحكاية رغم غياب الجدة ، أليس كذلك ؟

وشرعت تقرأ حكاية لم تقرأها من قبل ، وسرعان ما انفجرت في البكاء .

فهي تروي قصة جدة طيبة القلب تموت تاركة عائلتها تتأسف عليها ، كانت حكاية كئيبة دفعت هايدي إلى البكاء .

فوضعت رأسها بين كفيها وقالت :

– أنا متأكدة أن الجدة في الألب قد ماتت ، ولن أعود إلى هناك أبداً ، ولن تحصل على الخبز بالحليب ..

حاولت كلير أن تخفف عنها حزنها فقالت لها :

– إن الحكاية تتحدث عن جدة أخرى لا علاقة لها بالجدة التي تسكن الألب ، ولكنها لم تقتنع فقد كانت تعيش ما تقرؤه ولا تعتقد أنه مجرد خيال .

وحدثت المصيبة حينما دخلت الآنسة روجمون وقد سمعت البكاء فقالت بلهجة التهديد :

– توقفي حالاً عن هذا النحيب ، وإذا رأيتك تبكين مرة أخرى بعد قراءة الحكاية فسوف أصادر الكتاب .

تحول لون هايدي حتى صار أبيض كالثلج ، وارتجفت شفتاها وضمت الكتاب إلى صدرها وهي تنظر إلى الآنسة روجمون برعب .

لقد كان كتابها بعد كلير الشيء الوحيد الذي تحبه في فرانكفورت القبيحة ، وبذلت جهداً جباراً لئلا تبكي .

وخرجت المربية وهي راضية عن نفسها .

بعد هذه الحادثة ورحيل الجدة ، فقدت هايدي شهيتها تدريجياً .

ولم تعد تتناول من الطعام إلا اليسير ، وأصبحت ناحلة الجسم غائرة العينين .

وكان سيباستيان يشجعها على الأكل فيقول لها :

– خذي قطعة أخرى .. إنها لذيذة .

فترفع هايدي عينيها الخائفتين ولا تأكل شيئاً .

– وفي المساء قبل أن تنام تمر أمامها مناظر المروج والجبال فتخفي رأسها تحت مخدتها لتنتحب خوفاً من أن تسمعها الآنسة روجمون فتصادر منها كتابها .

توالت الأسابيع على هذه الحال وهايدي لا تعرف إن كان الفصل شتاء أم صيفاً لأنها لم تر شجرة واحدة ، ولأن صحة كلير لا تتحمل النزهات الطويلة فلا تخرج معها إلا نادراً .

مر الخريف والشتاء على هذه الحال ، وكانت هايدي ذاهلة تظل ساعات طويلة ويداها على عينيها تحلم بالمروج والجبال حتى تناديها كلير فتنهض حزينة وتجلس بجانبها .

الفصل الثاني عشر

الشبح



تحدث أشياء غريبة في بيت السيد جيرار ، والآنسة روجمون تصعد الدرج وتهبطه دون توقف ، وتدخل كل الحجرات وتفتشها بصمت وشفتاها مطبقتان .

وما أن يحين المساء حتى تتفحص بعين مدققة كل الأماكن المظلمة .

كانت تقوم بذلك وحدها في الطابق الذي يسكنونه ، أما الطابق العلوي الذي أغلقت حجراته فكانت ترافقها الخادمة نيت ، وكم انتابهما الخوف وهما تنظران إلى صور أجداد السيد جيرار تحدق فيهما باستهزاء وهي معلقة على الجدار .

لم تكن نيت تغامر في الصعود وحدها إلى الطابق العلوي ، وإذا اضطرت إلى إحضار شيء من خزانة الثياب يرافقها

سيباستيان ، والغريب أن سيباستيان نفسه كان يطلب من السائق مرافقته إذا صعد إلى السقيفة .

لا أحد من الخدم يتخلى عن صاحبه ، بل يهب لمساعدته إذا ناداه ، ماذا حدث إذاً ؟

حدث منذ عدة أيام أن الباب الخارجي كان مفتوحاً .

نعم مفتوحاً على مصراعيه ويطل على الطريق ، على حين كانت كل البيوت المجاورة مغلقة الأبواب .

في المساء الأول ذهب بهم الظن إلى أنهم قد نسوا إغلاقه ، ولذلك جعلوا يتفقدون البيت خشية أن يكون قد سرق منه شيء .

وكم دهش الخدم إذ لم يجدوا شيئاً من البيت قد سرق ، وكل شيء في مكانه ، فتنفسوا الصعداء وأحكموا إغلاق الباب ذلك المساء .

من الغد وجدوا الباب مشرعاً ، فتبادلوا نظرات القلق فيما بينهم ، وأحكموا إغلاقه مساء بالمفتاح ودعموه بقطعة خشب لئلا ينفتح .

من الغد وجدوا قطعة الخشب مرمية على الأرض والباب مفتوحاً ، فسيطر الخوف على سكان البيت .

كانت الطباخة تهز رأسها وهي تقشر الخضار وتقول إنه من غضب الله أن تشهد حدوث مثل هذه الأمور في آخر حياتها .

وعقدت الآنسة روجمون اجتماعاً ثلاثياً مع سيباستيان والسائق هانس ، وقبل الرجلان بعد تردد أن يظلا ساهرين في قاعة الطابق الأرضي .

فجلس الرجلان في القاعة وقد زودتهما الآنسة بمسدسين يملكهما السيد جيرار ، وأمامهما فنجانان من القهوة لمقاومة النعاس .

وبدأ الرجلان بتبادل الأحاديث حتى شعرا بالجوع فأكلا قطعة من اللحم المقدد ، ثم أحسّا بالعطش فشربا عصير الفاكهة ، فامتلأت معدتهما وغلبهما النعاس .

استيقظ سيباستيان حوالي الساعة الواحدة ليلاً ففتح عينيه فرأى هانس ينام هانئاً ويداه على ركبتيه ورأسه على صدره .



فأشعل سيباستيان غليونه لمقاومة النعاس ، ولكن بعد نصف ساعة بدا له الصمت مقلقاً ، فأيقظ هانس الذي قفز واقفاً وهو يفرك عينيه .

وقال بصوت ناعس :

– لا تخف يا سيباستيان إنني هنا ، لنقم بجولة .

تناول هانس الشمعة الموقدة من الطاولة وفتح الباب ، فهب تيار قوي أطفأها حالاً ، فتراجع إلى الوراء خائفاً ، وكاد يدوس سيباستيان الذي التصق به وتأتأ قائلاً :

– هناك .. هناك ..

سأله سيباستيان :

ماذا هناك ؟

– شيء ما .. شيء ما أبيض اللون ! في الدرج .. رأيته ثم اختفى فجأة .

وأما الباب فقد كان مشرعاً على مصراعيه .

أعاد الرجلان إغلاق الباب وهما يرتعدان ، ثم جلسا وقد أصبح لونهما ناصعاً كالثياب البيضاء ، ولم يرقدا تلك الليلة .

في الصباح الباكر حينما بدأت الحركة في الدار ذهبا معاً لرؤية الآنسة روجمون وحكيا لها عن تلك الليلة المهولة .

أحست الآنسة بالخطر فسارعت إلى تحرير رسالة طويلة إلى السيد جيرار تشرح له الأحداث ، فالبيت مسكون وترجوه أن يعود بأسرع ما يمكن ليختبر بنفسه هذه الظاهرة التي لا تفسير لها ألا وهي انفتاح الباب من ذات نفسه ، وختمت رسالتها بملاحظة

غاية في التشاؤم إذ تظن أن هذه الأحداث سيكون لها أثر سيىء على صحة كلير .

ووقعت الرسالة بيد مرتجفة .

أجابها السيد جيرار حالاً ، وذكر لها أن مصالحه تمنعه من العودة في الوقت الراهن ، وأنه لا يؤمن بالأشباح ولا الأطياف ولا سواها ، وأن هذه القضية تثير دهشته ، وطلب منها أن تعرف الأسباب الحقيقية ، وإذا أخفقت فلتستدع والدته لأنها ستكشف سر هذا الأمر بسهولة .

وكتبت إلى السيدة جيرار فكان جوابها ، أنها لن تكلف نفسها عناء السفر إلى فرانكفورت لأن الآنسة روجمون تظن أنها شاهدت بعض الأشباح ، وذكّرها بوجود بعض الأشخاص الذين يحبون المزاح الثقيل ، وبوجود الشرطة التي تستطيع أن تضع حداً لمزاحهم إذا تكرر .

لقد لمحت الآنسة روجمون لهجة السخرية في رسالة السيدة جيرار ، فأرادت أن تشرك في متاعبها كلير التي لم تطلعها على هذا الأمر وكذلك هايدي .

وذعرت كلير وأعلنت أنها لن تنام في الغرفة وحدها .

وطلبت من الآنسة روجمون أن تنتقل إليها ، وكذلك أن تنام هايدي معها خوفاً من أن تؤذيها الأشباح ليلاً .

وطلبت من هانس وسيباستيان أن يقضيا الليل في الممر ، وطلبت من والدها العودة بأسرع ما يمكن ، لقد أصيبت بخوف شديد ولم تهدئ المربية من روعها إلا بعد جهد جهيد .

أحست المربية بالرضا ، ووعدت كلير بأن تكتب إلى والدها تبلغه رغبتها ، ولكنها اعترضت على انتقال كل هؤلاء الناس إلى غرفتها ، وإذا أحست هايدي بالخوف فلتنم في غرفة نيت .

كتبت المربية إلى السيد جيرار تبلغه أن حياتها قد انقلبت بهذه الأحداث التي قد تنال من صحة كلير ، وقد تؤثر في أعصابها ، وربما أصابتها نوبات من الهستريا أو الصرع ، وربما اضطرت إلى إدخالها مصحة عقلية ، هذا واضح .

بعد ثلاثة أيام قرع الجرس بعنف شديد ، فتبادل الخدم نظرات الجزع فيما بينهم ، فهل تجرأ الشبح على العبث بهم في النهار ؟

ولكن عدة طرقات من العصا على الباب الخشبي أعادت إليهم صوابهم ، وأكدت لهم أن الطارق ليس شبحاً ، وقرر سيباستيان أن يفتح الباب أخيراً .

كان ذلك السيد جيرار الذي وصل مسرعاً ، وتنفس الجميع الصعداء ، ومضى إلى غرفة ابنته مباشرة فوجدها شاحبة ، ولكن قدومه قد أعاد إليها كثيراً من العافية .

وذهب بعدئذٍ إلى المربية يسألها هازلاً عن صحة صديقها الشبح ، فقالت له :

– لو رأيت ماذا يحدث في هذا البيت لما ضحكت منا ، وربما جرت في هذا البيت قديماً أحداث مرعبة ، من يدري ؟ جرائم قتل مثلاً ؟

فقال السيد جيرار :

– يا آنسة روجمون إن أجدادي هم الذين بنوا هذا البيت ، وأعرف أنهم لم يرتكبوا جريمة في حياتهم ، ولا أظنك تشكين في تاريخ أجدادي أيضاً !

– لا ، طبعاً .

– حسناً ، نادي لي سيباستيان واتركيني وحدي معه .

فحيت المربية وانصرفت .

كان يعرف أن سيباستيان ليس على علاقة طيبة معها ، ولا يكنّ لها الكثير من الود .

طرق سيباستيان الباب ودخل ، فقال له السيد جيرار :

– تعال يا ولدي .. هل أنت الذي يقوم بهذه الألاعيب لإخافة المربية ؟

– لا يا سيدي ، فالباب يفتح فعلاً كل صباح بطريقة لا تفسير لها ، كنت مع هانس ورأينا الشبح على الدرج .

– يبدو أنك صادق لأن الخوف ظاهر عليك كما هو ظاهر على المربية البائسة ، ولكني أعجب لشاب مثلكم في الخامسة والعشرين يخاف من شبح أو ما يعتقد أنه شبح ، وبانتظار ما نفعله أطلب منك أن تأتي بالدكتور (ريرو) صديقي القديم ليكون هنا حوالي التاسعة ، وأعلمه أني جئت من باريس خصيصاً لأستشيره .

قال سيباستيان :

– سأذهب فوراً يا سيدي .

في التاسعة قرع الدكتور (ريرو) الباب ، فكانت هايدي قد أجادت وصفه حينما رأته عند النافورة ، كان شعره أبيض بياض الثلج ، وعيناه براقتان ماكرتان ، وسلسلة ذهبية تتأرجح على بطنه المرتاح ، وله ضحكة يرتجف لصوتها زجاج النوافذ ، ربت على كتف السيد جيرار وقال له :

– آه لا يبدو عليك أنك في النزع الأخير .

– لا يتعلق الأمر بي ، بل بشخص سيكون مريضاً حقاً إذا قبضنا عليه .. وعليك أن تساعدني .

– هل هو مريض مشاكس يجب أن نمسك به قبل علاجه ؟

– تقريباً ، تصور أن لدينا في البيت شبحاً ، فالبيت مسكون كما يبدو .

– هكذا ؟ ما أجمل هذا المزاح ! لقد أحسنت إذ ناديتني لأني أتمنى رؤية الأشباح ، وأظن أن حقنة منومة تمنعه من الرجوع !

كانت الآنسة روجمون متحصنة في غرفتها ، وكذلك الخدم والبنتان تنامان في غرفتيهما .

قال السيد جيرار مازحاً :

– تظن المربية أن أحد أجدادي مجرم عتيد ، وقد عاد إلى الدنيا ليكفر عن خطاياه .

سأل الطبيب :

– كيف يظهر هذا الشبح ؟

فحكى له السيد جيرار مختصر الأحداث ، وتعجب الطبيب .

قال السيد جيرار مبتسماً :

– استعددت له بمسدسين ، فإن كان شخصاً مازحاً مزحنا معه ، وإن كان سارقاً أخفناه بسلاحنا ، ولكن ما هذا اللص الذي لا يسرق شيئاً ؟

هبط الصديقان الدرج وجلسا في القاعة الكبرى ومعهما ما يلزم من شموع موقدة وسلاحهما على الطاولة ، وما زالا يتحادثان حتى دقت ساعة الحائط منتصف الليل فقال الطبيب :

– أظن أن صاحبك الشبح قد أحس بوجودنا فلم يأت .

– أعتقد أن موعده هو الساعة الواحدة .

وبعد ثلاثة أرباع الساعة قطع الطبيب عبارته ولم يكملها وقال :

– هل سمعت ؟

صمت السيد جيرار أيضاً وأرهف سمعه ، لقد سمعا القفل الكبير للباب يدور دورتين والباب يفتح ، إنه الشبح !

تناول السيد جيرار مسدسه وجرى نحو الباب :

– أمسكنا به هذه المرة .

وتبعه الطبيب ومسدسه في يده وقد أبهجته المغامرة ، انتقلا إلى الردهة ، كل شيء ساكن وأرضية الردهة تلتمع تحت ضوء القمر ، فرفع الطبيب الشمعدان إلى أعلى وهتف :

– قف من هناك ؟

كان أمام الباب شبح أبيض .

فاقترب الاثنان وأضاءا المكان بنور الشموع وهتف الطبيب :

– أعوذ بالله ، إنها الفتاة الصغيرة التي تنقل الماء .

– إي والله .

ودهش السيد جيرار إذ رأى هايدي حافية القدمين مرتدية قميص نومها الأبيض .

وسمعت صوتهما فالتفتت مذعورة ، وكأنما استيقظت من نومها .

سألها السيد جيرار :

– ماذا تفعلين هنا ؟ ولماذا نزلت ؟

فأجابت هايدي خائفة :

– لا أدري .

فاقترب الطبيب من صديقه وقال له :

– لقد فهمت الآن ، إنها قضية تخص الطب ، لنعد إلى القاعة ، سأرافق هذه الفتاة إلى غرفتها ثم أعود إليك .

أعطى مسدسه إلى صديقه وأمسك يد هايدي بحنان :

– لا تخافي يا بنيتي ! عودي إلى غرفتك ونامي .

كانت هايدي ترتجف ، ولكنها مشت وادعة معه ، وسألها :

– لماذا نزلت ؟ وماذا تريدين أن تفعلي ؟

– لا أدري يا سيدي فأنا لم أنزل ، ولكن حين أيقظتني وجدت نفسي أمام الباب .. هذا كل شيء .. ولا أفهم ما حدث .

– هل تذكرين الحلم قبل أن تستيقظي ؟

– طبعاً وأنا أحلم به كل مساء وهو حلم جميل جداً ، فأنا مع الجد في جبال الألب أفتح باب الكوخ كل صباح وأنظر إلى الوادي ، كل شيء باهر .. ثم أستيقظ وأجد نفسي في فرانكفورت .

قال الطبيب :

– حسناً ، لقد فهمتك ، هل يؤلمك ظهرك من حين إلى آخر ؟

– لا ، ولكن أحس بالرغبة في البكاء ، هذا كل شيء .

– وحين تبكين تتحسن حالتك ؟

– ولكني لا أستطيع البكاء ، هذا ممنوع .

– ممنوع ؟ ومن منعه ؟

– الآنسة روجمون ، وقالت إنها ستصادر لي كتابي إذا بكيت .

– حسناً .. حسناً ، وهل أنت سعيدة لدى السيد جيرار ؟

قالت بفتور :

– لا بأس .

– وأين كنت تعيشين قبل قدومك إلى هنا ؟

– مع جدي في الألب .

– في القرية ؟

– لا في جبال الألب ذاتها .

– حتى في الشتاء ؟

– طول السنة .

– ربما كانت الحياة هناك طويلة ورتيبة .

فهتفت هايدي وهي تشبك كفيها :

– لا .. فالأيام مختلفة .. والحياة جميلة جداً .

وانفجرت بالبكاء على ذكر الألب ، فربت الطبيب على خدها متأثراً وقال :

– سأسمح لك بالبكاء كما تشائين ، فهذا مفيد لك ، ثم تذهبين إلى النوم وتستيقظين بعدئذٍ وأنت فرحة ، سترين .. سيكون كل شيء على ما يرام ، سآخذ الموضوع على عاتقي .

نامت هايدي بهدوء ، فنزل الطبيب إلى القاعة حيث ينتظره السيد جيرار فقال له :

– لن يزعجك الشبح بعد الآن ، إن الصغيرة تمشي في نومها ، وهي شديدة الحساسية وقد اشتاقت إلى بلادها وفقدت شهيتها للطعام ، وعلاجها الوحيد إرسالها إلى موطنها في الجبال ، وليكن هذا غداً صباحاً .

انزعج السيد جيرار وجعل يتمشى في الغرفة :

– ليس معقولاً ، جاءتنا الفتاة متوردة الخدين مثل التفاحة النضرة ، فإذا بها تمرض وتمشي في نومها هنا في بيتي ولا أحد يلاحظ ذلك ، هذا غير معقول ! هل ينتظرون موتها حتى أطّلع على حالها ؟ يجب أن تشفى أولاً وسوف تعالجها ، ولا أدري كيف ولكنها لن تعود إلا وهي في صحة جيدة .

قال الطبيب :

– لا أوافقك ، فلا علاج لهذه الفتاة سوى هواء الألب والحياة بين الأزهار ، إنما تموت من الحنين ، فأعدها إلى الجبال وإلا فات أوان علاجها .

فنظر إليه السيد جيرار خائفاً :

– حالتها خطيرة إلى هذا الحد ؟

– كما أقول لك .

– فلترحل في الحال وإلا ندمت على ما يحدث لها .

ودامت محادثتهما زمناً طويلاً لأن الطبيب لم يغادر البيت إلا والفجر قد أضاء أسطحة فرانكفورت المصبوغة بالسواد .

الفصل الثالث عشر

العودة إلى الألب

استيقظت الآنسة روجمون مذعورة وهي تصرخ ، فالطرقات تتوالى على بابها .

وسألت بصوت مخنوق :

– من هناك ؟

لم يكن الطارق سوى السيد جيرار ، ولكن خيل إلى العانس في نومها العميق أن الشبح يجرها من قدمها جراً .

قال السيد جيرار :

– إنه أنا ، وعذراً لأني أيقظتك باكراً ، ولكن يجب علينا تحضير الرحلة .

قالت وهي شبه نائمة :

– سآتي حالاً .

نزلت من سريرها ونظرت إلى الساعة غير مصدقة عينيها ، الرابعة والنصف صباحاً !

طول حياتها لم تستيقظ البائسة في مثل هذه الساعة المبكرة ، ظنت أن الشبح قد آذى أحداً ، فارتدت ثيابها على عجل وانحدرت إلى القاعة مذعورة ، فقد أيقظ السيد جيرار كل سكان البيت بطرقات عنيفة على الأبواب .

هبط الخدم جميعاً دون أن يكملوا ارتداء ثيابهم ، وقد أحسوا أن سيدهم قد اشتبك مع الشبح وهو يطلب نجدتهم .

كان يبدو الفرح والنشاط على السيد جيرار بحيث لا يمكن الظن بأنه قضى الليل يصارع الأشباح .

وصدر الأمر إلى هانس بإعداد العربة فأطاع مذهولاً ، الساعة الرابعة والنصف شيء عجيب !

وصدر الأمر إلى نيت بأن توقظ هايدي برفق وأن تلبسها أفضل ثيابها ، فخرجت وشفتاها متدليتان من الغيظ كما تعودت هذه الشخصية اللطيفة .

أما سيباستيان الذي وصل يتثاءب فقد أُرسل إلى المدينة في مهمة البحث عن الأنسة ديت خالة هايدي لضرورة عاجلة ، ووصلت الآنسة روجمون أثناء هذه الأحداث .

فكاد السيد جيرار ينفجر لرؤيتها ضحكاً ، إذ لبست البائسة قبعتها مقلوبة فبدا شكلها هزلياً ، وأصدر إليها الأمر دون مناقشة بأن تعد حوائج هايدي وتضيف إليها بعض ملابس كلير .

كانت المربية تتوقع سماع الشروح الطويلة عن طبائع الأشباح ، ولكنها رأت السيد جيرار يدير لها ظهره وهو مشغول بتحضير رحلة هايدي .

استيقظت كلير على هذه الضجة ، فجلس الأب بجانبها ليفسر لها أحداث ليلة أمس .

وبيّن لها أن من واجبهم إرسال هايدي إلى موطنها ، وأنها قد تؤذي نفسها وهي تمشي في نومها .

بدأت كلير تبكي ، فلم تكن تحب أن تغادرها هايدي ، إذ تبدل طعم الحياة منذ أن جاءت هذه السويسرية الصغيرة ، فأكد لها والدها أن حياة هايدي في خطر ، وهل تتمنى لصديقتها الصغيرة الموت ؟

ورغم ذلك فإن كلير لم تتوقف عن البكاء ، فوعدها أبوها أن يقوم برحلة إلى سويسرا السنة القادمة لزيارة هايدي .

فطلبت منه الإذن بأن تهدي هايدي ما شاءت من الهدايا ، فأذن لها مبتسماً .

في غرفة الانتظار كانت الخالة ديت تتساءل عما يراد منها ؟ وظنت أن الأمر خطير وإلا انتظروا طلوع النهار .

شرح لها السيد جيرار حالة هايدي الصحية وأنه يجب إرسالها إلى الجبال ، وبدت لها الأمور صعبة ، فالجد قد طرد ديت وطلب منها ألا تريه وجهها أبداً ، وهل يمكن أن ترجع إليه الفتاة بعد أن تركتها عامين لديه ثم أخذتها ، ثم الآن تعيدها ؟

ولكي تتخلص من هذا الموقف الحرج زعمت للسيد جيرار أن لديها مشاغل تمنعها من السفر اليوم وغداً ، فقرأ ما بين السطور فأعفاها ، واتخذ إجراءات أخرى .

نادى سيباستيان وقال له : اذهب يا بني وخذ الفتاة معك ، ستقضي الليلة في (بال) ، وهذا عنوان فندق هناك ، احجز غرفتين واحدة لك وأخرى لهايدي ، واحرص على أن تحكم إغلاق

نوافذها ، وأغلق بابها بالمفتاح واحتفظ به ، إنها تمشي في نومها ، هل تدرك المأساة إذا نهضت وصعدت إلى سطوح مدينة مجهولة ؟

ففتح سيباستيان عينيه دهشة وقال :

– آه .. لقد فهمت كل شيء الآن .

– وأضعت وقتاً طويلاً حتى فهمت .. وهل تدرك الآن كم كنت جباناً أنت وهانس ؟ غير معقول !

كان السيد جيرار يكتب رسالة طويلة إلى (عم الألب) جد هايدي ، أثناء ذلك أيقظت نيت هايدي دون مراعاة لحالتها ، وألبستها أجمل فساتينها ولم تذكر لها الأسباب ، ثم أدخلتها إلى قاعة الطعام فالفطور جاهز .

كان السيد جيرار أمام المائدة ، فطلب منها الجلوس بمرح وابتهاج ، فلم تفهم سر هذه الحركة المبكرة في المنزل .

قال السيد جيرار : صباح الخير يا هايدي ، سنتناول الفطور باكراً هذا اليوم ، هل تعرفين السبب ؟

– لا يا سيدي .

– لأنك ستسافرين اليوم ، ستعودين إلى البيت .

– إلى البيت ؟



كررت هذه الجملة بوجه شاحب ، ووضعت الفنجان وهي شاحبة .

وسألت نفسها : " أليس هذا بقية حلم البارحة ؟ ألن تستيقظ لتجد نفسها في قميص النوم أمام الباب ؟ " .

وسكتت مشدوهة .

سألها السيد جيرار :

– ألا تريدين العودة ؟

– آه طبعاً في الحال .

– تناولي شيئاً ثم نسافر .

ولكن هايدي ظلت شاردة كأنها في حلم ولم تستطع أن تأكل شيئاً .

نادى الآنسة روجمون لكي تزود سيباستيان ببعض الطعام من أجل الرحلة .

بعد الفطور صعدت هايدي لرؤية كلير ، وكانت متوفزة إلى أقصى حد ، وفي وسط الغرفة حقيبة كبيرة وقد وضعت فيها أشياء كثيرة ، إنها حقيبة هايدي ، وسألتها كلير :

– هل تريدين أن تري ما وضعت بداخلها ؟

ثم ذكرت لها أشياء عديدة : الفساتين والمناديل ولوازم الخياطة .. الخ ، ثم أضافت :

– وهذه للجدة .. انظري .

وأرتها شيئاً جعلها تقفز من الفرحة ، سلة مملوءة بالخبز الأبيض الطازج .

كانتا مبتهجتين حتى لا يُظنّ أنهما ستفترقان .

وجاء هانس ليعلن أن العربة جاهزة ، ولم يعد لديهما وقت للشعور بالحزن .

جرت هايدي إلى غرفتها وبحثت في خزانتها حيث خبأت أعز ما لديها ، وهي قبعة القش التي أنقذها سيباستيان ، وكتاب الصور الذي أهدته لها الجدة ، ولفتهما بالفستان الأحمر الذي تلبسه في جبال الألب ، ثم قبلت كلير ونزلت مع السيد جيرار لتركب في العربة .

وجاءت الآنسة روجهون لكي تودع (الفتاة الصغيرة) وهي في أتم عجرفتها ، ولمحت الصرة الحمراء فقالت بلهجة متعاظمة :

– لا تأخذي هذا الثوب الأحمر الذي لا فائدة منه ، فعندك الكثير من الملابس .

وخطفت الصرة الحمراء ، وارتجفت شفتا هايدي فقد كانت تظن أنها نجت بكنزها ولكن .. ورفعت عينيها تتوسل بهما إلى السيد جيرار ، فقال وهو يلمس يد المربية :

– هايدي مسموح لها أن تأخذ كل ما تريد .

فأرجعت لها المربية الصرة الحمراء وقد زمّت شفتيها ، ونجت هايدي بصرتها ، وجلست في العربة وقد ضمتها إلى صدرها .

ودعها السيد جيرار وتمنى لها رحلة موفقة ، فطلبت منه تبليغ تحياتها إلى الطبيب ، فقد أحست كأنما هو السبب وراء هذا الرحيل السعيد .

وفرقع هانس بسوطه ، فانطلقت العربة مبتعدة عن بيت السيد جيرار ، وبعد مدة قصيرة كانت تركب القطار مبتعدة عن فرانكفورت ، وقد وضعت سلتها الصغيرة على ركبتيها .

جلست برهة لا تفكر في شيء ، ثم أدركت أنها فعلاً عائدة إلى سويسرا ، وانصرف ذهنها إلى أولئك الذين تركتهم هناك ، فسألت سيباستيان :

– هل أنت متأكد أن الجدة لم تمت ؟

– لست متأكداً ، ولكني آمل أن تكون على قيد الحياة .

فرفعت الغطاء عن السلة وقالت :

– وهل الأمل كبير ؟

فقال سيباستيان وهو يتثاءب :

– لا يوجد سبب لأن تكون ميتة .

وداهم النعاس سيباستيان وكذلك هايدي بعد هذه الليلة المملوءة بالحركة .

ولم تستيقظ إلا وسيباستيان يهزّ كتفها ويقول :

– استيقظي فنحن في " بال " .

قضيا الليلة في فندق فخم وتعشيا فيه ، وكان سيباستيان حريصاً على أن تكون النوافذ والأبواب محكمة الإغلاق واحتفظ بالمفتاح في جيبه .

ومن الغد استقلا القطار مرة ثانية . دامت الرحلة عدة ساعات ، وكانت هايدي ممسكة بالسلة ولا تقول شيئاً ، فالقطار يقترب بها من الألب ، ثم توقف القطار في محطة صغيرة وسمعت النداء : ماينفيلد .. ماينفيلد .

نزل سيباستيان ومعه الحقيبة وتبعته هايدي ثم انطلق القطار واختفى في الوادي ، ولم يُسرَّ سيباستيان لاختفائه حين نظر إلى

الجبال الشاهقة التي عليه أن يتسلقها ، ولم يكن يحب التجوال في الجبال ويرى ذلك عملاً خطيراً .

كان يحب العيش في فرانكفورت ، وبعد أن ألقى نظرة قلق على الجبال المخيفة اقترب من رجل يحمّل حقائبه في عربة وسأله عن آمن طريق إلى درفلي ، فقال له الرجل مندهشاً :

– كل الطرق آمنة هنا ، وهل تظن أن هناك قطاع طرق ؟

– لا ، ولكن كل هذه الجبال ؟ المهم يوجد طريق وحيد إلى درفلي هذا هو ..

وسأل سيباستيان :

– وكيف نرسل هذه الحقيبة إلى درفلي ؟

نظر الرجل إلى الحقيبة وقال : إنه يتكفل بنقلها بعربته إلى درفلي مقابل أجرة معقولة ، ثم نقل هايدي معه مما أزال الغمَّ عن سيباستيان ووعده بأن يجد من يرافقها إلى جدها ، فهتفت هايدي :

– لا ضرورة لذلك ، فأنا أعرف الطريق .

حينئذٍ أخذ سيباستيان هايدي جانباً وسلمها رسالة وشيئاً ثقيلاً ملفوفاً ، وقال لها : إن عليها أن تخفيها في قعر سلتها ثم تسلمها إلى جدها ، ولا تكلم أحداً قبل الوصول إليه .

وبالغ في تحذيرها لأنه كان قلقاً لترك الطفلة تتابع الرحلة وحدها ، وتعاون مع السائق على حمل الحقيبة ، ثم صافح هايدي وانطلقت العربة وجلس هو ينتظر قطار العودة .

كان سائق العربة خبازاً في درفلي ، ولكنه لم ير هايدي سابقاً وإن كان قد سمع حكايتها ، فسألها :

– هل أنت الصغيرة التي كانت لدى (عم الألب) ؟

– نعم.

– ولست مرتاحة في فرانكفورت ؟ كان الناس أشراراً معك ؟

– لا ، كانوا كلهم ناساً طيبين وخاصة السيد جيرار وكلير وسيباستيان .

– فلماذا تركتهم ؟ أم أنهم طردوك ؟

– لا .. لم يطردوني ولكن السيد جيرار أذن لي بالعودة إلى جدي ، هذا كل شيء .

– وهل تحبين فعلاً العودة إليه ؟

فقالت بلهجة غاضبة :

– أنا مع جدي خير لي بألف مرة من أكون مع الناس ، لأنه أطيب جد في الدنيا .

وهمهم الخباز :

– الأطفال عجيبون .

كلما اقتربوا ازداد ارتفاع الجبال ، وتعرفت هايدي على آلاف الأشياء ، وأحست بانفعال شديد ، كان قلبها يخفق بالبهجة ، وتعرفت من بعيد على الذرى الأليفة والمروج الواسعة وقباب النواقيس القديمة المتناثرة في الوادي ، وتمنت لو تقفز من العربة للقاء جدها في الكوخ ، ولكن العربة ما زالت تسير ، وفي الساعة الخامسة وجدت نفسها في درفلي .

تجمعت النساء والأطفال حولها لأنهم رأوا الخباز من بعيد ومعه شخص فأرادوا معرفة التفاصيل ، وعرفوا أنها هايدي فأمطروها بالأسئلة ، لماذا لم تبق في فرانكفورت وهل ستعود إليها ؟.. فنزلت من العربة وقالت للخباز إن جدها سيأتي ليأخذ الحقيبة ، وحملت سلتها الصغيرة ومضت ، هز الناس رؤوسهم وظنوا أن سبب غضبها هو رجوعها إلى الألب خاصة أنهم لاحظوا منذ عام أن جدها قد ازداد توحشاً أكثر من ذي قبل ، وروى لهم الخباز كيف أن شخصاً محترماً من المدينة أعطاه مبلغاً من المال لينقل الفتاة

وحقيبتها إلى درفلي ، وأن هذا السيد لطيف معها ، وأنها تركت فرانكفورت من تلقاء نفسها .

أدهشت هذه الأخبار القرية كلها ولم يصدقوا معظمها ولكنهم قضوا السهرة وهم يتحدثون عنها .

أثناء ذلك كانت هايدي قد سلكت طريق الألب تمضي عليه مسرعة بقدر استطاعتها ، وتتوقف من حين لآخر كي تسترد أنفاسها ، فالهضبة وعرة والسلة ثقيلة .

وكانت تحس بالقلق ، ويزداد قلقها كلما اقتربت ، إذ خافت أن تكون الجدة قد فارقت الحياة خلال غيبتها ، وعند المنعطف ظهر الكوخ العتيق فوقفت جامدة ثم بدأت تجري بكل قواها نحوه وفتحت الباب بيد مرتجفة ، لم تكن قادرة على النطق بكلمة فقد عقدت العاطفة لسانها ، والحمد لله .. لقد كانت الجدة في زاويتها تغزل الصوف منحنية على المغزل .

حين سمعت انفتاح الباب رفعت العجوز رأسها وصاحت بأعلى صوتها : من هناك ؟

ووسعت عينيها المطفأتين لعلها تميز شيئاً ، أما هايدي فأحست بعقدة في حنجرتها تمنعها من الكلام .

وهتفت العمياء بحيرة :

– من هناك ؟ .. من في الدنيا يمكن أن يفتح الباب بهذه الطريقة سوى هايدي ؟

ثم صرخت :

– آه يارب ، هايدي هذه أنت ؟

ورمت هايدي نفسها في أحضان الجدة وهي تنتحب :

– أنا هي يا جدتي ، أنا هايدي ، رجعت من فرانكفورت وجلبت معي شيئاً لك .

وببهجة لا يمكن وصفها وضعت السلة في حضن العجوز ، سلة الخبز المقمّر ، الخبز الذي ذهبت لتجلبه من فرانكفورت .

وبكت العجوز :

– آه يا رب .. آه يا رب ..

وانحدرت الدموع غزيرة من عينيها المطفأتين وهي تتلمس بيدها وجه هايدي المبلل بالدموع والغبار ، وتتحسس شعرها الأجعد وتقول :

– تكلمي يا هايدي .. قولي أي شيء ، أسمعيني صوتك .

وحين هدأت هايدي عبّرت لها عن خشيتها من أن لا تكون الجدة هنا لتأكل الخبز .

حينئذٍ دخلت بريجيت ، وسكتت لحظة من الدهشة ثم هتفت :

– كيف ؟ ها أنت يا هايدي ؟ ما أجملك ؟ لو ترينها يا أم ، ما أجملها ؟ وهي لابسة هذا الفستان وهذه القبعة على الطاولة أهي لك ؟ ضعيها على رأسك لأراها !

قالت هايدي :

– لا لن ألبسها ، فعندي قبعة قديمة من القش .

وفكت صرتها وأخرجت القبعة القديمة العتيدة التي نجت من يد الآنسة روجمون ، ثم تابعت قائلة:

– إن كانت تلك القبعة تعجبك فخذيها هدية مني .

وكانت تعرف أن جدها يكره قبعات المدينة ، فقالت لها بريجيت إنها مخطئة ، فهذه قبعة رائعة غالية الثمن ، أما إذا كانت لا تريدها فيمكن أن تبيعها إلى ابنة المعلم .

قالت هايدي :

– افعلي ما شئت .

ونزعت فستانها ولبست ثوبها الأحمر القديم ، إنه قصير عليها الآن ، ثم قالت للجدة :

– يجب أن أذهب إلى جدي ولكن سأعود غداً .. هذا وعد .

أجابت الجدة وهي تضغط على يد هايدي :

– اذهبي يا بنيتي وعودي غداً .

وسألتها بريجيت :

– لماذا لا تبقين لابسة هذا الفستان الجميل ؟ سيفرح الجد إذا رآك .

قالت هايدي وهي تهز رأسها :

– لا ، إنه يفضل فستاني الأحمر وإلا ما عرفني ، وظن أن المدينة قد غيرتني ! أنت لم تعرفيني تقريباً وأنا مرتدية هذا الثوب .

رافقت بريجيت هايدي بضع خطوات وذكرت لها أن جدها كما يقول بيتر أصبح متوحشاً لا يطاق .

ولم تهتم هايدي واستمرت صاعدة الطريق .

عند المنعطف توقفت مذهولة ، إنه الغروب من ناحية الأبراج العالية التي تضيئها الشمس ، وجبال الجليد تشتعل بألف لهيب فوق المروج التي أعتم لونها الأخضر ..

وتآلفت الغيوم في السماء ، وهناك في الأعالي ترددت صرخة مخيفة : صرخة العقاب ..

وقالت في نفسها : لم أر مثل هذا الجمال حتى في أروع أحلام فرانكفورت .

سرعان ما أعتمت الألوان وانتشر الظلام في الوادي .

فبدأت هايدي تجري نحو الصنوبرات الثلاث ، ثم رأت سطح الكوخ العتيق ثم بابه ، وأمام الباب كان شيخ هرم جالساً على مقعد يدخن غليونه بوقار ، وجرت إليه مسرعة بحيث لم يكن لدى الشيخ وقت ليفهم ما حدث .

ورمت هايدي سلتها من يدها وتعلقت بعنقه وهي تصرخ :

– هذه أنا يا جدي ! هذه أنا ..

ولم تكن قادرة على قول شيء سواها .

وعانق (عم الألب) هايدي وضمها إلى صدره ، ولا ريب أنه منذ سنوات طوال لم يعرف الدمع سبيله إلى عينيه !

استمر الجد في عناق هايدي ، ثم نزع يدها المحيطة برقبته ونظر في عينيها :

– لِمَ عدت ؟ آمل ألا يكونوا قد طردوك !

– لا يا جدي ، لم يحدث هذا ، لقد اشتقت إليك كثيراً وإلى عنزاتك وإلى بيتر وإلى الجبال .. هذا ما حدث ، كنت أبكي عليكم جميعاً .. ولكنهم لم يفهموا وظنوا أني ناكرة للمعروف ، وأظن أن الطبيب هو الذي أعادني ، وهذه رسالة إليك من السيد جيرار وصرّة صغيرة .

فكّ الجد الصرّة فوجد قطع نقود ذهبية فطوى الصرّة بعناية وقال :

– هذه ملكك يا هايدي ولا علاقة لي بها .

وقرأ الرسالة بانتباه شديد ثم طواها ووضعها في جيبه ، وهو يتأمل في الأفق ونهض ممسكاً بيدها :

– أما زلت تحبين شرب الحليب ؟ خذي صرتك ولندخل فالجو بارد .. سأشتري لك سريراً مريحاً بهذه .

فتساءلت هايدي :

– وأين سريري القديم ؟

– ظننت أنك لن تعودي فأكلته العنزات ، ولكن لا يهم سنصنع واحداً آخر ، لنشرب الحليب ونأكل قطع الجبن .

جلست هايدي في مكانها المعتاد وناولها جدها كأس حليب كبيرة فشربته جرعة واحدة وقالت مزهوة :

– إن حليبنا أفضل حليب في العالم ؟

– وهل تشربين أيضاً ؟

فمدت هايدي كأسها ، حينئذٍ سمع في الخارج صوت صفير ، فتركت كأس الحليب وجرت لترى بيتر وعنزاته وهتفت :

– صباح الخير يا بيتر !

ودخلت وسط القطيع تنادي كل عنزة باسمها وكأنما العنزات تعرفها ، فأما التركية فقد رفعت لحيتها متسائلة وخبطت الأرض بظلفها كما تعودت كي تبين لهايدي أنها ما تزال صلبة قوية ، وكان هناك عدد من الجديان لم تملّ هايدي من مداعبتها والتربيت على شعرها .

قال بيتر أخيراً :

– هل عدت ؟ وستذهبين إلى الألب معي ؟

– طبعاً .

– غداً ؟

– لا ليس غداً ، ففي الغد سأرى الجدة ولكن بعد غد .

حينما دخلت الكوخ كان جدها قد مهد لها فراشاً من التبن وغطاه بملاءتين .

ذلك المساء لم تهاجمها الكوابيس ولم تنهض من النوم ، فقد عادت إلى الجبال ، أما جدها فكم من مرة نهض يتفقدها ويغطيها ويخشى أن يصيبها البرد أو يصيبها الحر أو يصيبها أي شيء .

وأصغت طويلاً إلى رياح الفوهن وهي تطقطق أغصان الصنوبرات .

الفصل الرابع عشر

يوم الأحد



منذ الغد كانت هايدي جالسة تحت الصنوبرات تنتظر جدها أن ينهي ما بيده من عمل .

واليوم سبت وهو اليوم الذي يرتب فيه الجد البيت ، وقد نهض باكراً لكي يكمل عمله ويذهب ليجلب حقيبة هايدي ، وخرج أخيراً من الكوخ وألقى حوله نظرة اطمئنان وقال :

– حسناً يمكننا الذهاب .

وتركها لدى الجدة وتابع طريقه إلى القرية .

أمسكت الجدة يد هايدي وكأنها خائفة من أن تفقدها مرة ثانية وقالت لها إن الخبز لذيذ الطعم وقد شد قواها .

وقالت بريجيت إن الجدة لم تأكل سوى مرة واحدة حتى يبقى الخبز لديها مدة أطول ، قالت هايدي :

– كلي قدر ما تستطيعين .. سآتي لك بخبز سواه ، لقد وعدتني كلير أن ترسل لي ما أشاء .

فقالت بريجيت :

– إن فكرتها رائعة ، ولكن الخبز يتأخر في الوصول من فرانكفورت ولا يصل إلا يابساً ، والأفضل أن يكون عندنا نقود نشتري منه من حين إلى آخر ، إن الخباز هنا يصنع مثله تقريباً .

فهتفت هايدي :

– حسناً عندي نقود .. وسأرسل بيتر ليشتري الخبز .

قالت العجوز :

– لا يابنيتي ليست هذه النقود لشراء الخبز .. أعطيها لجدك وهو يعرف كيف يتصرف بها .

وفجأة رأت على الطاولة كتاب الصلوات ، فقالت :

– ولاتنسوا أني أعرف القراءة الآن ، هل أقرأ لك بعض الأدعية ؟

وهمست العجوز :

– هل هذا ممكن ؟ ستدخلين السرور على نفسي يا بنيتي .

تناولت هايدي الكتاب باعتزاز وجعلت تقرأ أحد الأدعية والعجوز تردد الكلمات وراءها .

لقد مرت سنوات طويلة ولم تسمع هذا الدعاء المحبب إلى نفسها ، فقالت :

– لقد أدخلت البهجة على قلبي يا هايدي .

ولم تر هايدي العجوز بمثل هذه الحال من السعادة قبل اليوم ، وفي تلك اللحظة سمع طرق خفيف على الباب ، إنه الجد العائد من القرية وهو يشير إلى هايدي بالذهاب ، فنهضت الفتاة ووعدت بأن تعود ، وذكرتها بريجيت بأنها تركت قبعتها فقالت :

– احتفظي بها .

أطلعت هايدي جدها على قرارها بشراء الخبز بالحليب للجدة كل يوم ، فضحك وقال :

– وسريرك ؟ ألن تشتري السرير ؟

فقالت :

– إن سرير التبن أفضل من أي سرير في فرانكفورت .

قال الجد :

– احمدي الله لأنه حقق لك أمانيك .

قالت هايدي :

– الحمد لك يا رب ، لقد رددتني إلى جدي وإلى العجوز وهيأت لي طريق العودة إلى الجبال .

قال الجد :

– هكذا كنت تصلين وأنت في فرانكفورت ؟

– طبعاً .. وكنت أسأل الله أن يردني إلى الكوخ وإلى العنزات وإلى الجبال لأسمع صرخة العقاب فوق الذرى .

– ومن علمك الصلاة ؟

– إنها جدة كلير .. وهي امرأة تقية مؤمنة لولاها لأصبت بمرض خطير .. وقد قرأت لي حكاية (الولد الضال) هل أقرأها لك ؟

فتحت الحقيبة وأخرجت كتاب الصور الذي أهدتها جدة كلير إياه وقرأت له الحكاية ، فكان يصغي إليها صامتاً وهو يدخن غليونه ، وحين انتهت قالت :

– أليست هذه حكاية جميلة ؟

خلال الليل صعد الجد إلى السقيفة يتأمل وجه حفيدته هايدي ، وتذكر أنه لم يذهب إلى الصلاة منذ زمن طويل ، فهز رأسه وقال جواباً على سؤالها :

– نعم إنها حكاية جميلة .

من الغد نزلت هايدي من فراشها إلى الكوخ فوجدت أمامها مفاجأة جميلة ، لم تكد تعرف جدها ، فقد ارتدى ملابسه السوداء وسترته الحمراء ذات الأزرار الفضية ، فقال لها :

– البسي ثوبك الجديد ، فالنواقيس تقرع معلنة عن وقت الصلاة واليوم أحد ، ولا أريد أن أصل متأخراً .

فقالت :

– حالاً يا جدي .

هبطا معاً إلى الطريق المضاء بنور الصباح ، وكانت أصوات النواقيس تتجاوب في أنحاء الوادي .

حين دخلا الكنيسة التفت الناس ينظرون إليه ، فقد عُرف أنه متوحد متوحش لا يخالط الناس ولا يؤدي الصلاة ، ولكنه ها هو قد ارتدى أجمل ثيابه وعاد إلى ربه كما يعود الابن الضال إلى عائلته .

ثم تابعوه بأنظارهم وهو يدخل ليرى القس ويحادثه .

قال أحدهم :

– لا يبدو عليه أنه متوحش .

وقال آخر :

– انظروا كيف يعامل الفتاة باحترام وحنان .

وانتظروا نتيجة مقابلته مع القس الذي أدهشهم وهو يصافح الجد بحرارة .

فقال الجد :

– أظن أنكم على حق بخصوص الموضوع الذي تكلمنا عنه السنة الماضية ، لقد فكرت وعزمت أن أعود إلى القرية هذا الشتاء ، فالفصل قارس وصحة هايدي لا تتحمل البرد ، وإذا استمر الناس على النظر إليّ كأني دب فهذه قضية تخصهم ، المهم أن أكون صادقاً مع نفسي ومع الله .

فقال القس :

– صدقت يا جاري ! وإني سعيد بهذا القرار الذي اتخذته وسوف نرى ما نفعله من أجل هذه الفتاة الصغيرة .

ذُهل الحاضرون من هذا المشهد وتجمعوا حوله ، ولكن حين أمسك بيد هايدي وشق الطريق بينهم اندفع أحدهم إليه وصافحه قائلاً :

– صباح الخير يا عم ، لم نرك هنا منذ زمن طويل !

وتشجع آخر فشدّ على يده وقال :

– أهلاً بك في القرية يا عم .

فاندفعوا جميعاً نحوه يصافحونه ويرحبون به بينهم ، وكان عجيباً أن يكون هذا الشيخ المتوحد قريباً إلى قلوبهم ، وأحس العم بالانفعال الشديد فكان يلتفت يميناً وشمالاً وهو يقول :

– حسناً يا أصدقائي .. سيكون لدينا الوقت للمسامرة هذا الشتاء حينما أهبط من الألب وأسكن القرية معكم .

كانوا يدعونه إلى زيارتهم وكأنه أحد الأبطال .

وأما هايدي فلا تسل عن فرحتها بعودة جدها إلى أهله وأصحابه ، وحين وصلا إلى كوخ الجد طرق الجد الباب ثم أطلّ برأسه وقال :

– صباح الخير يا جدة .. سنأتي قريباً لندق المسامير في هذا الكوخ !

فلم تصدق العجوز أذنيها وقالت :

– يا رب ! إنه عم الألب .. شكراً لك ، ولكن لا تحرمنا من رؤية هايدي .

– لا تخافي سترينها دائماً .

وتدخلت بريجيت وجذبت انتباه الجد إلى قبعة هايدي التي لا تريد أن تأخذها .

فقال :

– إذا وهبتها لك فافعلي بها ما شئت .

فظهرت البهجة عليها وهي تقول :

– ما أسعد حظي .. لأن بنت المعلم دفعت لي عشرة فرنكات ثمناً لها ، حيثما تمر هايدي تجلب الخير معها .

فقال الجد وهو ينظر إلى هايدي بحنان :

– نعم حيثما تمر .

حينئذٍ دخل بيتر حاملاً معه رسالة إلى هايدي وصلت مع بريد البارحة .

كانت رسالة من كلير تعلن فيها أن والدها قد وعدها برحلة إلى سويسرا الخريف القادم وسيأتون مع جدتها إلى درفلي .

واستمروا يتحدثون وقد نسوا الوقت ، فانتبه لذلك الجد واستأذن بالذهاب ، فقالت الجدة العمياء وهي تصافحه :

– إن الوعد بالرجوع يمحو زمن الغياب .

– فأمسك الجد بيد حفيدته هايدي وصعدا معاً إلى الكوخ العتيق في أعالي الألب ..

الفهرس

هــــايــــدي

جوانا سبيري

هايدي فتاة يتيمة أرسلتها خالتها إلى جدها المقيم في جبال الألب منعزلاً عن الناس ، وتتساءل هايدي كيف سيكون استقباله لها ، وتنشأ بينهما صداقة عميقة ، وتحب الفتاة الطبيعة بجبالها وثلوجها ومراعيها ..
وتشاء الأقدار أن تنتزعها من موطنها لترمي بها في مدينة فرانكفورت ..

صدر من هذه المجموعة :

1 ـ الذئب الأبيض
2 ـ توم سوير
3 ـ الهندي الشجاع
4 ـ مذكرات حمار
5 ـ نداء الغابة
6 ـ روبنسون كروزو
7 ـ هايدي
8 ـ حكايات أندرسون
9 ـ عشرون ألف فرسخ تحت البحار
10ـ ريمي الصغير
11ـ نساء صغيرات
12ـ جزيرة الكنز
13ـ حول العالم في ثمانين يوماً
14ـ كوخ العم توم
15ـ شرلوك هولمز
16ـ مغامرات الكابتن فراكاس
17ـ حرب النار
18ـ الحوت الأبيض
19ـ كتاب الأدغال
20ـ أحدب نوتردام
21ـ اللورد الصغير
22ـ الشيطان الصغير
23ـ أحزان صوفي
24ـ فتيات مثاليات

تصميم الغلاف : هيثم فرحات




ARAB COMICS
AC
عرب كوميكس
www.arabcomics.net